علوُّ الهمَّة في الحِفاظ على اللِّسان العربي

وإنما بدأنا بهذا الفصل قبلَ فصل «علو الهمة في طلب العلم»، لأن معرفة اللسان العربي تعدُّ مفتاحًا مهمًّا لدراسة العلوم الشرعي، وبدونها يتعثَّر طالبُ العلم كثيرًا، ويخسرُ خيرًا وفيرًا.

فنقول ـ وبالله التوفيق ـ:

إن الثباتَ علَى اللسان العربي هو واحدٌ من صور الاعتزاز بدين الإسلام وشريعةِ ذي الجلال والإكرام، لأن التمسكَ به ـ لا سيَّما في مجالات الدعوة بكافةِ جوانبها المكتوبة والمسموعة ـ دليلٌ على تعظيم الشرع وصاحبه، بل على محبته وإجلاله.

وعلى العكس تمامًا، نرى الذين أهملوا لسانهم العربيَّ الشريف من أكثر الناس بعدًا عن دين الله، وصدودًا عن نهجه، وتهاونًا بشرعه.

□ قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان العارفون باللغة العربية حينَ بَعَثَ اللهُ مُحمَّدًا، إنَّما يوجَدون في جزيرة العرب وما والاها ـ كأرضِ الحجاز واليمن وبعض الشام والعراق ـ، ثُم انتشر، فصار أكثرُ الساكنين في وسط المعمورة العربيَّة ـ حتَّى اليهود والنصارى الموجودون في وسط الأرض ـ يتكلمون بالعربية ـ كما يتكلمُ بِها أكثر المسلمين ـ، بل كثيرٌ من اليهود والنصارى يتكلمون بالعربية أجودَ ممَّا يتكلمُ با كثيرٌ من المسلمين.

وقد انتشرت هذه اللغةُ أكثرَ ممَّا انتشرت سائرُ اللغات، حتَّى إنَّ الكتب القديمةَ ـ مِن كُتب أهل الكتاب ومِن كُتب الفُرس والهند واليونان والقِبطِ وغيرِهم ـ عُرِّبَتْ بهذه اللغة» انتهى[1].

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/ ٥٧).

والشاهدُ هنا أن المسلمين ـ والعرب ـ نشروا هذه اللغة اعتزازًا بدينهم وعربيتهم، ولم يعتزُّوا بتراثٍ آخر سوى ما خلَّفه لهم أسلافُهم العِظام، ومن ثم سارت هذه اللغة مسيرَ الشمس في الأقطار، بل امتدت إلى كلِّ ما امتدَّ إليه الليلُ والنهار.

□ وقال العلَّامة ابنُ خُلدون رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلمْ أن لغات أهل الأمصار إنما تكونُ بلسان الأمة ـ أو الجيل ـ الغالِبين عليها أو المختطِّين لها، ولذلك كانت لغاتُ الأمصار الإسلامية كلُّها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربيةً، وإن كان اللسانُ العربيُّ المُـضَرِيُّ قد فسدت مَلَكتُه وتغيَّر إعرابُه.

والسبب في ذلك ما وقع للدولـة الإسلاميـة من الغَلَب على الأمم، والدينُ والمِلَّةُ صورةٌ للوجود وللمُلك، وكلُّها موادُّ له، والصورةُ مقدَّمةٌ على المادة، والدينُ إنما يُستفاد من الشريعة ـ وهي بلسان العرب ـ ولأن النبيَّ ﷺ عربيٌّ، فوجب هَجرُ ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها.

واعتبر ذلك في نَهْي عمرَ رضي الله عنه عن رَطانـة الأعاجم، وقال: «إنها خِبٌّ» ـ أي مكرٌ وخديعة ـ ، فلمـا هَجـر الديـنُ اللغاتِ الأعجمية، وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيًّا، هُجرت كلُّها في جميع ممالكها، لأن الناس تبَعٌ للسلطان وعلى دينه، فصار استعمالُ اللسان العربي من شعائرِ الإسلام وطاعةِ العرب.

وهَجَر الأُممُ لغاتِهم وألسنَتَهم في جميع الأمصار والممـالك، وصار اللسانُ العربيُّ لسانَهم، حتى رَسَخ ذلك لغةً في جميع أمصارهم ومُدُنهم، وصارت الألسنةُ الأعجميةُ دخيلةً فيها وغريبة.

ثم فَسَد اللسانُ العربي بمخالطتها في بعض أحكامـه، وتغيَّـر أواخـره

ـ وإن كان بقي في الدلالات على أصله ـ، وسُمِّي لسانًا حضريًّا في جميع أمصار الإسلام.

وأيضًا، فأكثرُ أهل الأمصار في المِلَّة ـ لهذا العهد ـ من أعقاب العرب، المالكين لها، الهالكين في ترفها، بما كثَّروا العجمَ الذين كانوا بها، ووَرِثوا أرضهم وديارَهم ـ واللغاتُ متوارَثة ـ، فبقيت لغةُ الأعقاب على حيالِ لغة الآباء ـ وإن فسدت أحكامُها بمخالطة الأعاجم شيئًا فشيئًا، وسُمِّيت لغتهم «حضرية» ـ منسوبةً إلى أهل الحواضر والأمصار ـ، بخلاف «لغة البدْو» من العرب، فإنها كانت أعرقَ في العروبية.

ولمَّا تملَّك العجمُ من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق، وزناتة والبربر بالمغرب، وصار لهم مُلكٌ واستيلاءٌ على جميع الممالك الإسلامية، فَسَد اللسانُ العربيُّ لذلك، وكاد يذهبُ، لولا ما حَفِظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة ـ اللذين بهما حِفظُ الدين ـ، وصار ذلك مرجِّحًا لبقاء اللغة المُضريَّة من الشِّعر والكلام ـ إلا قليلًا بالأمصار ـ عربيةً.

فلما ملك التترُ والمغول بالمشرق ـ ولم يكونوا على دين الإسلام ـ، ذهب ذلك المرجِّح، وفسدت اللغةُ العربية على الإطلاق، ولم يَبْقَ لها رسمٌ في الممالك الإسلامية، بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسِّند وما وراء النهر، وبلاد الشمال، وبلاد الروم، وذهبت أساليبُ اللغة العربية من الشعر والكلام، إلا قليلًا يقعُ تعليمُه صناعيًّا بالقوانين المتدارَسة من علوم العرب، وحِفظِ كلامهم لمن يسَّره اللّهُ تعالى لذلك.

وربما بَقِيت اللغةُ العربية المُضريَّةُ بمصر والشام والأندلس والمغرب، لبقاء الدينِ طالبًا لها، فانحفظت بعضَ الشيء، وأما في ممالك العراق وما

وراءه، فلم يَبْقَ له أثرٌ ولا عين، حتى إن كتبَ العلوم صارت تُكتب باللسان العجمي، وكذا تدريسُه في المجالس، والله أعلم بالصواب» اهـ[1].

إنَّ اللهَ تعالى لمَّا جعل رسالةَ الإسلام آخِرَ عِناقٍ بين السَّماءِ والأرض، واختار العربَ ـ دون سائرِ البشر ـ ليُحَمِّلَهُم هذه الأمانةَ، لم يكن ذلك الاختيارُ عبثًا؛ فالربُّ ـ الحكيمُ العليمُ ـ يَعلمُ أينَ يضعُ رسالتَه.

والعربُ أُمَّةٌ فصيحةٌ بليغةٌ، ولسانُها العربيُّ أوسعُ وأشملُ وأجملُ وأفصحُ الألسنة؛ وإذا أنعمَ اللهُ تعالى على الواحدِ منهم بالفصاحةِ في المنطق، وسرعةِ البديهة، وحُسن إلقاءِ الكلام وإيضاحِه، فإنَّك حينَها تسمعُ سِحرًا يَخلِبُ الألباب، ويُثيرُ المشاعرَ والإعجاب.

وهذه اللغةُ الشريفةُ لا يَعرِفُ جمالها وحلاوةَ منطقِها وعُذوبةَ رَونَقِها إلَّا مَن تذوَّقها وأقبل عليها بحُبٍّ وشوق؛ أمَّا مَن نظر إليها على أنَّها مشاكلُ معقَّدة، وقوانينُ مُصفَّدة[2]، فإنه يَصعُبُ عليه أنْ يتعرَّفَ جمالَها وبَهاءَها، وبالتالي سيَنفِرُ منها ومِن تعلُّمِها.

ولكنْ سبحانَ مَن جعل لكلِّ شيءٍ سببًا! فإنَّه تعالى لمَّا أراد أن يُشعِرَ العباد بحلاوةِ هذه اللغةِ البديعة، أنزل عليهم كتابَه الخاتَمَ الجليلَ بها، الذي مَن سَمِعه يُتلى من قارئٍ متمكِّنٍ ذي صوتٍ عذبٍ جميل، فلا شكَّ أنه سينجذبُ بقلبه وفِكرِه ورُوحِه إلى هذا الكتاب العظيم، وإلى مُنْزِلِه الكريم، وإلى اللِّسان الذي يُتلى به على مرِّ الأيامِ والسِّنين[3].

---

(١) «مقدمة ابن خلدون» (١/ ٢١٤).

(٢) الصَّفْد: الشدُّ والإغلاق. والمقصود: صعبةُ الحَلِّ.

(٣) وقد قال ﷺ: **«زَيِّنُوا القُرآنَ بأصواتكم، فإنَّ الصَّوتَ الحَسَنَ يَزيدُ القرآنَ حُسنًا»**. صحيح: رواه الدارمي (٣٥٠١) والحاكم (١/ ٧٦٨) والبيهقي في «الشعب» =

□ قال الإمامُ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اختار اللّهُ تعالى أن يكون اللسانُ العربيُّ مظهرًا لوحيه، ومستودعًا لمراده، وأن يكون العربُ هم المتلقِّين أولًا لشرعه وإبلاغ مرادِه، لحكمةٍ علِمها، منها كونُ لسانهم أفصحَ الألسُنِ وأسهلَها انتشارًا، وأكثرَها تحمُّلًا للمعاني، مع إيجازِ لفظه» انتهى[1].

□ وقال الخطيبُ البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَحتاجُ الناظرُ في عِلمِ القرآن إلى: حِفظ الآثار، ودَرسِ النحو وعِلمِ العربيةِ واللغة ـ إذ كان اللّهُ تعالى إنّما أنزله بلسان العرب ـ ، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]» انتهى[2].

□ وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]، وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصِّلت: ٤٤]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

فهذا يتضمَّن إنعامَ اللّه على عباده، لأنَّ اللسانَ العربيَّ أكملُ الألسِنةِ وأحسنُها بيانًا للمعاني، فنُزُولُ الكتاب به أعظمُ نعمةٍ على الخلقِ من نزوله بغيرِه، وهو إنَّما خُوطب به ـ أولًا ـ العربُ ليفهموه، ثُم مَن يَعلمُ لُغتَهم يَفهَمُه كما فهموه، ثُم مَن لم يعلمْ لُغتَهم، ترجمه له مَن عَرَف لغتَهم، وكان إقامةُ الحُجَّةِ به على العرب ـ أولًا ـ ، والإنعامُ به عليهم ـ

(٢/ ٣٨٦) بلفظ: «حسِّنوا القرآن..»، وصحَّحه الشيخ حسين الداراني عند الدارمي، والعلَّامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٤٥) و(٣٥٨١).

(١) «أسباب الخطأ في التفسير» للشيخ طاهر بن محمود بن محمد (٢/ ٩٨٢).

(٢) «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٩٨).

أولًا ـ لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفَه غيرُهم» انتهى[١].

□ وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «واللّهُ تعالى أنزل كتابه بلسان العرب وهو ـ لابدَّ ـ أن يُنْزِله بلسانٍ من الألسنة، وأكملُ الألسِنةِ لسانُ العرب، وأكملُ البلاغةِ بلاغةُ القرآن باتِّفاق أهلِ العلم بذلك» انتهى[٢].

□ وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ اللّهَ تعالى خصَّ العرب ولسانَهم بأحكامٍ تَميَّزوا بها»[٣].

□ وقال الإمامُ ابنُ الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «حضر عندي في بعض الأيام رجلٌ من اليهود ـ وكنتُ إذ ذاك بالديار المصرية ـ ، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقادٌ ـ لمكان علمِه في دينهم وغيره ـ ، وكان لَعَمْري كذلك، فجرى ذِكرُ اللغات، وأن اللغة العربية هي سيدةُ اللغات، وأنها أشرفُهنَّ مكانًا، وأحسنُهنَّ وضعًا، فقال ذلك الرجل: كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخِرًا، فنفت القبيحَ من اللغات قبلها، وأخذت الحَسَن!! ثم إن واضعَها تصرَّف في جميع اللغات السالفة، فاختَصر ما اختَصر، وخفَّف ما خفَّف، فمن ذلك اسم «الجَمَل»، فإنه عندنا في اللسان العبراني «كوميل» على وزن «فوعيل»، فجاء واضعُ اللغة العربية، وحذف منها الثقيلَ المستبشَع، وقال «جمل»، فصار خفيفًا حسنا، وكذلك فَعَل في كذا وكذا ـ وذكر أشياءَ كثيرةً ـ .

ولقد صدق في الذي ذكره، وهو كلامُ عالمٍ به» انتهى[٤].

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» (٢/ ٦٩ ـ ٧٠).

(٢) «الرد على البكري» (٢/ ٦١٦).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٥٤).

(٤) «المثل السائر» (١/ ١٩٣).

□ وقال الحافظ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتُرجمت التوارةُ والزَّبور - وسائر كتب اللّه عَزَّوَجَلَّ - بالعربية، لأنَّ غيرَ العرب لم تتَّسع في المجاز اتساعَ العرب»(١).

□ وقال الإمام القلقشندي رَحِمَهُ اللَّهُ - عن فضل «العربية» -: « لا خفاءَ أنها أمتنُ اللغات، وأوضحُها بيانًا، وأذلقُها لسانًا، وأمدُّها رُواقًا، وأعذبُها مذاقًا، ومن ثَم اختارها اللّهُ تعالى لأشرف رُسُله، وخاتمِ أنبيائه، وخِيرتِه من خلقه، وصفوته من بريَّته، وجعلها لغةَ أهلِ سمائه وسكان جنَّته(٢)، وأنزل بها كتابَه المبين الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤٢].

قال في «صناعة الكتاب»: وقد انقادت اللغاتُ كلُّها للغة العرب، فأقبلت الأممُ إليها يتعلمونها» انتهى(٣).

□ وقال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن الذي أُنزل عليه القرآنُ نبيُّ العرب، فالقرآنُ نبيُّ العربية، بحيث لا تَجِدُ من فضلٍ لرسول اللّه ﷺ على الأنام، إلّا وجدتَ فضلًا في معناه لكلامِ اللّه على

---

(١) «المُزهِر في علوم اللغة» (١/ ٢٥٤).

(٢) ورد في هذا حديث موضوع: رواه الحاكم (٤/ ٨٧) - وصحَّحه -، والطبراني (١١/ ١٨٥) والبيهقي في «الشعب» (١٤٣٣) وتمّام في «الفوائد» (١٣٤)، وأورده الشوكاني في «الفوائد المَجموعة من الأحاديث الموضوعة» (١٦٧)، ولكن جملة: «حُبُّ العرب..»، ذَكَر العجلوني في «كشف الخفا» (١/ ٥٤) أن لها شواهدَ كثيرةً يصيرُ بها الحديث حسنًا، ولعلَّ هذا هو السبب في أنْ حسَّن الحديث الحافظُ السِّلفي - كما في «الاقتضاء» (١/ ٤٤٣) -، واللّهُ أعلم.. وقد حكم على الحديث العلامةُ الألباني في «الضعيفة» (١٦٠) و«ضعيف الجامع» (١٧٣) بأنه موضوع.

(٣) «صبح الأعشى» (١/ ١٨٣).

الكلام» انتهى[١].

□ ولله در الإمام الصرصري الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال:

اللَّـهُ أكبـرُ إنَّ دِيـنَ محمـدٍ وكتابَـه أقـوى وأقـومُ قِـيلَا
لا تُـذكَرُ الكُتْـبُ الـسَّوالفُ طَلَعَ الصباحُ فأطْفِئِ القِنديلَا[٢]

ولمَّا كان اللسانُ العربي بهذه المكانةِ من الشرع المعظَّم، كان لابدَّ لكل مسلم ـ بوجهٍ عام ـ، وكلِّ طالب علم ـ بوجهٍ خاص ـ أن يهتمَّ به اهتمامًا يفوقُ كلَّ اهتمام لأهلِ اللغات الأخرى بألسنتهم.

ويزدادُ الأمرُ تأكيدًا على دعاة الإسلام، الذين يصعَدون على المنابر، ويؤلِّفون الكتب والرسائل، ذلك لأنه لابدَّ للدعوة من مؤهلات، إذا أهملها الداعيةُ ضعُفت ثمراتُ دعوته، ولا ريب أن إتقان اللسانَ العربي على رأس الأسس التي لابد للداعية أن يحكمها.

□ قال قَتادةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن حَدَّث قَبل حِينه، افتُضِح في حينه»[٣].

□ وقال سَهلُ بن مُحمدٍ الصُّعلوكيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن تصدَّر قبل أوانه، فقد تَصدَّى لهوانه[٤]»[٥].

وفي هذا الكلام النفيس بيانٌ هام أنه لابد أن تتأهَّل قبل أن تتصدر، وهذا المبدأُ أصله موجودٌ في كلام اللّهِ تعالى.

---

(١) «تاريخ آداب العرب» (١/ ٨٣).

(٢) «الموسوعة الشعرية» (٤٥) لبدر بن عبدالله بن عبدالكريم الناصر.

(٣) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١/ ٥٠٧).

(٤) أي: جعل نَفسه عُرضةً للذلِّ والهَوان.

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٠٨).

قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦].

واستمعوا معي لهذه الكلمات:

• عن جعفرِ بن عقبةَ الحَنْظلي قال: «قيل لعبدِالمَلِك بن مروان: أسرَعَ إليك الشَّيب! فقال: شيَّبني كثرةُ ارتقاءِ المنبر مَخافةَ اللحن»(١).

• وفي ترجمة أحمدَ بن إبراهيم بن تزمرد: «كان عاقلًا، يفهمُ العربية ولا يتكلم بها، يقول: أخافُ أن أُخطئ، والخطأُ من الرئيس قبيح»(٢).

□ ولله در القائل:

وقد يَكشِفُ القولُ عِيَّ الفتى فيبدو، ويستُرُه ما سَكت(٣)

وقد كثُرت كلماتُ العلماء عن أهميّة اللسان العربيّ في حياةِ طُلَّاب العلم ـ على الأخصِّ ـ ، فضلًا عمّا حَوَتْه لنا كتبُ التاريخ والأخبار والتراجم من جهودهم العظيمة في سبيل تعلم العربية وإتقانها.

ولْنقطف بعضَ الأزهار من بساتين كلامهم وأخبارهم، لنعلمَ مقدارَ الخطورةِ الناجمة عن إهمالِ اللسان العربيِّ على طالب العلم ودعوته، وبعد ذلك نأخذ نُتفًا من أخبارهم.

□ قال الإمامُ الأصمعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ أَخوَفَ ما أخافُ على طالب العِلم ـ إذا لم يعرفِ النَّحوَ ـ أن يدخلَ فيما قال النَّبيُّ ﷺ: «مَن كَذَب عليَّ مُتعمِّدًا فلْيَتبوَّأْ مَقعَدَه من النار»(٤)؛ لأنه ﷺ لم يكن لحّانًا، ولم يَلحَنْ في

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٧/ ١٣٨).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٧٧).

(٣) «الأمثال والحكم» للإمام الماوردي (٨٨ ـ ط: دار الوطن).

(٤) صحيح: رواه أحمد (١/ ٧٨) والبخاري (١١٠) ومسلم (٣) وأبو داود (٣٦٥١) =

حديثِه، فمهما رَوَيْتَ عنه ولحَنْتَ، فقد كَذَبْتَ عليه[(١)]»[(٢)].

□ وهذا ما قَصده الإمامُ أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال: «هَلك مَن كان لا يعرفُ العربية».

□ وقال عفّانُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَمعتُ حمّادَ بنَ سَلمةَ يقول لإنسانٍ: إنْ لحنتَ في حديثي فقد كذبتَ عليَّ، فإني لا أَلْحَنُ»[(٣)].

□ وقال وكيعُ بنُ الجَرّاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أتيتُ الأعمشَ أسْمَعُ منه الحديثَ، وكنتُ ربَّما لحَنْتُ، فقال لي: أبا سفيان، تركتَ ما هو أولى بك من الحديث[(٤)]. فقلتُ: يا أبا محمَّدٍ، وأيُّ شيءٍ هو أولى بي من الحديث؟ فقال: النحو. فأملى عليَّ الأعمشُ النحوَ، ثُم أملى عليَّ الحديثَ»[(٥)].

□ وقال الأوزاعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعرِبُوا الحديثَ، فإنَّ القومَ كانوا عُرْبًا[(٦)]»[(٧)].

والترمذي (٢٢٥٧) وابن ماجة (٣٠).

(١) ومُتعمِّدُ الكذب عليه ﷺ، هل يَكفرُ بذلك؟. فيه خلاف بين العلماء. انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ١٠٤ ـ ط: دار الحديث).

(٢) «تهذيب الكمال» للإمام المِزّي (١٨/ ٣٨٨)، و«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر (٣٧/ ٨٠)، و«روضة العقلاء» للحافظ ابن حبان (٣٦٤).

(٣) «الجامع» للخطيب (٢/ ١٩).

(٤) لم يقصد الأعمشُ بالطبع أن النحوَ أفضل من الحديث النبوي؛ لأن الأول وسيلة والثاني غاية، لكنه قَصَد أنه مِفتاحُ التفقه في الحديث.

(٥) «الجامع» للخطيب (٢/ ١٢)، و«فضل العلم وآداب طلبته»، للشيخ محمد بن سعيد ابن رسلان (٣٠٠).

(٦) عُرْبًا ـ بضم العين وتسكين الراء ـ، أي: أهل إعراب لِما يقولون.

(٧) «جامع بيان العلم»، للإمام ابن عبدالبر (١/ ٣٣٩).

□ وقال أيضًا: «لا بأسَ بإصلاح اللحن في الحديثِ[١]»[٢].

□ وقال أبو زَيدٍ النَّحْويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان الذي حَدَاني[٣] على طلب الأدب والنحوِ أني دخلتُ على جعفرِ بن سليمانَ، فقال: ادْنُهْ[٤]. فقلت: أنا دَنيٌّ! فقال: لا تقلْ «أنا دنيٌّ»، ولكن قُلْ: «أنا دانٍ»[٥]»[٦].

□ وقال أبو المُوَفَّق رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنتُ عند أبي شَيبةَ، وعنده رَقبةُ[٧] ـ وكان[٨] يلحَنُ لحنًا شديدًا ـ، فقال رقبةُ: يا أبا شَيبة، لو كان لحنُك من الذنوب لكان من الكبائر»[٩].

□ وقال بعضُ السلف: «العلومُ أربعة: الفقهُ للأديان، والطبُّ للأبدان، والنجوم للأزمان، والنحو للسان»[١٠].

---

(١) أي: إذا رأيت حديثًا في كتابٍ فيه خطأٌ نحويٌّ، فعليك بإصلاحه، وانظر اختلاف السَّلف في هذا الأمر في بداية الجزء الثاني من «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، للخطيب البغدادي.

(٢) «جامع بيان العلم» (١/ ٣٤٠).

(٣) حداني: دفعني.

(٤) ادنُهْ: اقترب. وأصلها «ادن»، ولكنَّ «الهاء» التي معها يُسميها العلماء «هاء السَّكت»، كالتي في قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وأصلها: «اقتَدِ».

(٥) لأن «دَنيٌّ» معناها «حقيرٌ»، كما قال الشاعر:

لا يكونُ العليُّ مِثل الدَّنيّ ... لا ولا ذُو الذكاء مِثل الغَبيِّ

(٦) «الجامع للخطيب» (٢/ ١٤).

(٧) اسم رجل.

(٨) أي: أبو شيبة.

(٩) «الجامع» للخطيب (٢/ ١٨).

(١٠) المستطرف (١/ ٣٨).

□ وقال إبراهيمُ الحَربيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «مَن تكلَّمَ في الفقه بغير لُغةٍ تكلَّمَ بلسانٍ قصير[١]»[٢].

□ وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ ـ وهو يتحـدَّثُ عن أدب المُناقِش في العلم[٣] ـ: «ويجبُ عليه إصلاحُ مَنطِقِه، وتَجنُّبُ اللحن في كلامه، والإفصاحُ عن بيانه؛ فإنَّ ذلك عونٌ له في مناظرته، ألَا ترى إلى استعانة موسى بأخيه عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث يقول: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا[٤] يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص: ٣٤]! وقولُه: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ [طه]!»[٥].

ولمعرفةِ قَدرِ العلماء بالعربية ـ ولا سيَّما في قراءة كتب العلم ـ، كانوا ينتقُون ممَّن يقرأُ على الطلبة مَن يُتقِنُ العربية، ويوصون بذلك:

□ قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ: «وينبغي أن يتخيَّر [الشيخُ] للقراءة أفصحَ الحاضِرين لسانًا، وأوضحَهم بيانًا، وأحسنَهم عبارةً، وأجودَهم أداءً:

قال الشافعيُّ: «جئتُ إلى مالكٍ ـ وقد حفظتُ «الموطَّأ» ـ، فقلتُ له: إني أريد أن أقرأَ عليك «الموطَّأ». فقال: اطلبْ إنسانًا يقرأُ لك، فقلتُ له: اسْمَعْ قراءتي، فإن لم تُعجِبْك أخذتَ إنسانًا يقرأُ لي، فقرأتُ عليه».

---

(١) أي: لم يستطع إيصال المقصود إيصالًا صحيحًا.

(٢) «الفقيه والمتفقه»، للخطيب البغدادي (٢/ ٤١ ـ ط: دار ابن الجوزي).

(٣) الجِدال أحيانًا يكون مرضيًّا ممدوحًا، وأحيانًا يكون مبغوضًا مرفوضًا. انظر: «أصول الجدل والمناظرة»، للشيخ حَمَد العثمان.

(٤) الرِّدْء: العَون. أي: أرسِلْه معي مُعينًا.

(٥) «الفقيه والمتفقه» للخطيب (٢/ ٥٤ ـ ٥٦)، و«الجامع» له (٢/ ١٢).

وقال عبدُاللّه بنُ أحمدَ بن حنبل: «سَمعتُ أبي يقول: كان الشافعيُّ من أفصح الناس، قلتُ له: كان له سنٌّ؟ قال: لم يكن بالكبير، قلتُ له: إنَّ مُصعبًا الزُّبيْريَّ قال: هو أسنُّ مني بأربعِ ـ أو خمس ـ سنين، قال: كذا كان لم يكن بالكبير. قال أبي: قال الشافعي: أنا قرأتُ على مالكٍ، فكان تعجبُه قراءتي.. قال أبي: لأنه كان فصيحًا»..»[١].

□ وقال **النَّضرُ بنُ شُميل** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**كان هُشيمٌ لحَّانًا، فكسوتُ لكم حديثَه كِسوةً حسنةً».. يعني الإعراب**[٢].

□ وقال يَحيَى بنُ خالد: «ما رأيتُ رجلًا قطُّ إلَّا هِبتُه حتى يتكلم، فإن كان فصيحًا[٣] عَظُم في صدري، وإنْ قَصَّر سَقط من عيني»[٤].

□ وقال الحافظ ابنُ عبدالبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِن الواجب على مَن لا يَعرِفُ اللسانَ العربي ـ الذي نَزَل به القرآن وهو لُغةُ النَّبي ﷺ ـ أن يأخذَ مِن علمِ ذلك ما يَكتفي به ولا يَستغني عنه، حتى يعرفَ تصاريفَ القول وفَحواه وظاهِرَه ومعناه[٥]؛ **وذلك قريبٌ على مَن أَحبَّ عِلمَه وتَعَلَّمه، وهو عونٌ له على عِلم الدِّين** ـ الذي هو أرفعُ العلوم وأعلاها ـ ، به يُطاعُ اللّهُ ويُعبَدُ ويُشكَرُ ويُحمَد، فمَن عَلِم من القرآن ما به الحاجةُ إليه، وعَرَف من السُّنة ما يُعوِّلُ عليه، ووقف من مذاهب الفقهاء على ما نَزَعوا به وانتزعوه من

---

(١) «الجامع» للخطيب (١/ ٤٤٣).

(٢) «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٦٦ ـ ط: دار الكتب العلمية).

(٣) **الفصاحة**: خلوصُ الكلام من التعقيد. ولا يكون الرجلُ فصيحًا إلا إذا كان نحويًا. انظر: «المستطرف» للأبشَيهي (١/ ٧٦).

(٤) «المستطرف» (١/ ٧٦).

(٥) فإنَّ كلام العرب له معانٍ متعدِّدةٌ، ولا يُمكنُ فَهمُها إلَّا لمن دَرَس لُغتَهم.

كتاب ربهم وسُنَّةِ نبيِّهم: حَصَل على علمِ الدِّيانة، وكان على أمَّةِ نبيِّه مؤتَمَنًا حقَّ الأمانة إذا أَبقى اللّهُ فيه[١] عِلمَه، ولم تَمِلْ به دنيا أو شهوةٌ[٢] أو هوًى يُردِيهِ[٣]؛ فهـذا عندنا العلـمُ الأعلى الـذي نَحظى بـه في الآخرة والأولى»[٤].

□ وقد رُوي أن أبا عمرِو بنَ العلاء كان يقول: «العلمُ بالعربية هو الدينُ بعينه. فبلغ ذلك عبدَاللّه بنَ المبارك، فقال: صدق؛ لأنّي رأيتُ النصارى قد عبدوا المسيح لجهلهَم بذلك، قال اللّهُ تعالى: «أنا ولَّدتُك من مريم، وأنت نَبيِّي»، فحسِبوه يقول: «أنا وَلَدتُك، وأنت بُنَيِّي» ـ فبتخفيف اللام وتقديم الباء، وتعويض الضمة بالفتحة ـ، فكفروا»[٥].

□ وقال الزُّهري رَحِمَهُ اللّهُ: «ما أَحْدثَ الناسُ مروءةً أحبُّ إليَّ من طلب النحو»[٦].

□ وقال العلَّامة ابنُ عُثيمين رَحِمَهُ اللّهُ: «عليك أن تُعدِّل لِسانَك، وأنْ تُعدِّل بَنانَك[٧]، وألَّا تكتبَ إلَّا بالعربية، وألَّا تَنطِقَ إلَّا بالعربية»[٨].

□ وقال العلَّامة بكر أبو زيد ـ مبينًا لونًا من جهلِ المُدَّعين للعلم ـ:

---

(١) في الكتاب «فيها»، ولعلَّ الصواب ما أثبتُّه.

(٢) في الكتاب «دنيا شهوته»، ولعلَّ الصواب ما أثبته.

(٣) يُردِيه: يُهلِكُه.

(٤) «جامع بيان العلم» (٢/ ٧٨٩).

(٥) «عناية العلماء باللغة العربية» (١٠ ـ ١١).

(٦) «العقد الفريد» (١/ ٢٤٨).

(٧) أي: أن تُحسِّنَ خَطَّك عند الكتابة. وانظر فصلًا نافعًا جدًّا حول هذا في «أدب الدنيا والدين»، للإمام الماوردي (٨٤: ٩٨).

(٨) «شرح حلية طالب العلم»، للعلَّامة ابن عثيمين (٢١٦ ـ ط: دار البصيرة).

«ومنه الانحلالُ اللُّغويُّ من كرائم لغة العرب[١] إلى لوثةِ العُجمة؛ فعلى أهلِ العلم والإيمان المَحافظةُ على هذا اللسان بالدَّعوة إليه[٢]، وكفِّ الدخيلِ عنه، والابتعادِ عن دَعَوات الشُّعوبية[٣]؛ ومِن أَلَامِهَا تنْزيلُ لُغةِ الجرائدِ الهزيلةِ في كتب العلم؛ وعليهم أن يبذلُوا الجهدَ في نَسجِ الكلام على سَنَن[٤] لغة العرب، فإنَّ المباني[٥] ذاتُ خِدمةٍ كبيرة للمعاني، فلابدَّ من انتقائها ورفضِ المُوَلِدِ والهَجِين[٦]، وفي المشهور[٧]: «الألفاظُ قوالبُ المعاني»، و«الألفاظ خَدَمُ للمعاني»، و«المعاني مالكةٌ سياسةَ اللفظ».

وهذه الوجهةُ[٨] لن تتعاصى ـ بإذن اللّه تعالى ـ على مُبتغيها متى عَقَد العهدَ لموالاتها ونَبْذِ الدخيل عليها، وأقامَ سُوقَ الولاءِ والبَراء فيها؛ **ولا يكونُ هذا إلَّا مِن نفوسٍ تَحلَّت بالشَّرفِ وعُلوِّ الهمَّةِ وإباءِ الضَّيم[٩]، وعَمِلت في سبيلها احتسابًا وديانةً**».

ثُم بيَّن فضيلةُ الشيخ ـ سدَّده اللّهُ ـ أن لُغةَ العرب لا تتعاصى إلَّا على من هَجَرها وانخرط في العاميَّة ولغةِ الشوارع.

---

(١) أي: الانحراف عن اللسان العربي العزيز.

(٢) ومِن هنا لابدَّ للدعاة والمُعلِّمين أن يُذكِّروا الناس بقيمةِ العربية بين حينٍ وآخر.

(٣) **الشُّعوبية**: دعوة تحتقرُ العرب، وتقدم غيرهم عليهم.

(٤) **السَّنَن** ـ بفتح السين ـ: العادة والطريقة.

(٥) يقصد تركيب الألفاظ.

(٦) **المُولَّد**: الأجنبي المَحض. و**الهَجين**: الملفَّق بين اللغات، بإخراج كلماتٍ فيها حروفٌ من هذه وحروفٌ من تلك.

(٧) أي: في الكلام الشهور على الألسنة.

(٨) أي: إصلاح اللسان العربي وطردِ ما سواه.

(٩) **الضَّيم**: الذل والتبعيَّة.

□ فقال ـ حفظه اللّهُ ـ : «أمَّا مَن كانت وسائلُ الإعلام سَماعًا وقِراءةً سَمِيْرَهُ وهِجِّيَرَاهُ[١]، فاستعاض بالمَقهى عن المعهد، وبالجريدة عن الكتاب، وبالمناقشات الرياضيَّة عن المُذاكرات العلميَّة[٢]، فأنَّى له ذلك[٣]؟! ولْيَعلمْ ـ وإنْ كان في نفسه عظيمًا ـ أنه لِقًى منبوذٌ في العَراءِ بفعل يَمينه[٤]، قد ضُرب بينه وبين العلم بسورٍ له باب.

قال الشيخ مُحَمَّدُ الخِضْر حُسين:

لُغةٌ قد عَقَدَ الدِّينُ لها ذمَّةً يَكلؤُها[٥] كُلُّ البَشَرْ
أولم تُنسَجْ على مِنوالِها كَلِمُ التَّنْزيلِ في أرقى سُوَرْ!
يا لقومي لِوفاءٍ إنَّ مَن نَكث العهدَ أتى إحدَى الكُبَرْ
فأقِيموا الوَجهَ في إحيائها وتلافُوا عِقدَ ما كان انْتَثَرْ

وقال ابنُ فارسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان الناسُ قديمًا يجتنبون اللحنَ فيما يكتبونه أو يقرؤونه اجتنابَهم بعضَ الذنوب[٦]، فأمَّا الآن، فقد تجوَّزوا؛ حتى إنَّ المُحدِّثَ يُحدِّثُ فيلحَنُ، والفقيهَ يُؤلِّفُ فيلحنُ، فإذا نُبِّهَا قالَا: «ما ندرِي ما

---

(١) السَّمِير: الصاحب. والهِجِّيَرَى: العادة الدائمة.

(٢) يقصد فضيلة الشيخُ هؤلاء الفارغين الكسالى الذين لا نراهم إلا على المقاهي والأرصفة ليس لهم همٌّ إلا توافِهَ الأمور ومنكراتها.

(٣) أي: كيف سيصلُ إلى معرفة هذه اللغة الشريفة؟!!.

(٤) اللِّقى: الحقير الذي أُلقِيَ به. المَنبوذ: المطرود. بفِعل يَمينه: بما جَنَته يداه هو. ومعنى الجملة: أنه رَخَّص نفسَه وحقَّرها.

(٥) يكلؤها: يحفظها.

(٦) وهذا من أبدع الجمل.

الإعرابُ! وإنَّما نحن مُحدِّثون فقهاء»! فهما يُسَرَّان بما يُسَاءُ به اللبيبُ»[١].

□ وقال العلَّامة بكر أبو زيد أيضًا ـ موصيًا طالب العلم ـ : «ابتعِدْ عن اللحن في اللفظ والكَتْب[٢]، **فإنَّ عَدمَ اللحن جَلالةٌ، وصفاءُ ذَوقٍ، ووقوفٌ على مِلاحِ المعاني بسلامةِ المباني**»[٣].

وكلماتهم النيِّرة غير هذا كثيرة، وفي هذه التوجيهاتِ كفاية.

*** والآن لِنَعِشْ مع عبير أحباب العربية وعشَّاقها:**

ابن عباس رضي الله عنهما:

□ قال عمرو بن دينار رحمه الله: «ما رأيتُ مجلسًا أجمع لكل خيرٍ من مجلس ابن عباس: الحلال والحرام، والعربية، والأنساب، والشعر»[٤].

□ وقال أبو العالية الرياحي: «كان ابنُ عباسٍ يُعلِّمُنا الإعراب، لأن به يُجتنبُ اللحنُ»[٥].

زِرُّ بنُ حُبيش:

□ جاء في ترجمته رحمه الله: «كان من أعرب الناس، وكان ابنُ مسعود ـ وغيرُ واحدٍ ـ يسألونه عن العربية»[٦].

---

(١) «التعالم» (٨٤ : ٨٨) باختصار.

(٢) الكَتْب ـ بفتح الكاف وتسكين التاء ـ : الكتابة.

(٣) «حلية طالب العلم» (٢٠٠) ضمن «المجموعة العلمية».

(٤) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبدالبر (١/ ٢٨٥)، و«تاريخ آداب العرب» (١/ ٢٢).

(٥) «تاريخ دمشق» (١٨/ ١٧٦)

(٦) «الطبقات» لابن سعد (٦/ ١٠٥)، و«الإصابة» لابن حجر (٢/ ٦٣٣)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٩/ ٣٣٧).

أبو العالية الرِّياحي:

□ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنتُ مَملوكًا أخدُمُ أهلي، فتعلَّمتُ القرآن والكتابةَ العربية»[١].

هذه همتُه وهو مملوك، فأين همتكم ـ أيها الأحرار ـ ؟!.

يحيى بن يَعْمَرَ الليثي:

□ جاء في ترجمته: «كان نَحْويًّا، صاحبَ علمٍ بالعربية والقرآن، ثُم أتى خُراسان، فنَزل مَرْوَ، ووليَ القضاء بها»[٢].

أبو الزناد:

□ وهو الإمام عبدالرَّحمن بن هُرمز ـ المشهور بـ«الأعرج» ـ ، جاء في ترجمته: «كان فصيحًا، بصيرًا بالعربية، عالمًا عاقلًا»[٣].

ابن طاووس:

□ عن مَعمَرٍ قال: «ما رأيتُ ابنَ فقيهٍ مثل ابن طاووس. فقيل له: ولا هشامَ بنَ عروة؟ فقال: حسبُك بهشام بن عروة[٤]، ولكنْ لم أَرَ مثل هذا[٥]، كان من أعلمِ الناس بالعربية، وأحسنهم خُلُقًا»[٦].

خلف بن هشام:

□ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أُشكِل عليَّ بابٌ من النحو، فأنفقتُ ثمانين ألفَ دِرهمٍ

---

(١) «الطبقات» (٧/ ١١٣).

(٢) «الطبقات» (٧/ ٣٦٨)، و«تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٦٦).

(٣) «تهذيب الكمال» (١٤/ ٤٨٢).

(٤) أي: لا ينكر فضلَه وجلالته.

(٥) أي: ابن طاووس.

(٦) «تهذيب الكمال» (١٥/ ١٣١)

حتى حَذِقتُه»[١].

القاسم بن معن:

وهو من أحفاد ابن مسعودٍ رضي الله عنه.

□ جاء في ترجمته: «أنه كان أروى الناسِ للحديث والشِّعر، ومن أعلمِهم بالعربية»[٢].

عمر بن عبد العزيز:

□ قال رحمه الله: «إن لي نفسًا توّاقة، لقد رأيتُني وأنا بالمدينة غلامٌ مع الغلمان، ثم تاقت نفسي إلى العلم ـ إلى العربية والشعر ـ، فأصبتُ منه حاجتي وما كنتُ أريد، ثم تاقت إلى السلطان، فاستُعملتُ على المدينة، ثم تاقت نفسي ـ وأنا في السلطان ـ إلى اللبس والعيش الطيب، فما علمتُ مِن أحدٍ من أهل بيتي ولا غيرهم كانوا في مِثلِ ما كنت فيه، ثم تاقت نفسي إلى الآخرة والعملِ بالعدل، فأنا أرجو أن أنال ما تاقت نفسي إليه من أمر آخِرتي، فلستُ بالذي أُهلك آخرتي بدنياهم»[٣].

الإمام الشافعي:

□ قال هارون الرشيدُ للشافعي ـ رحمهما اللّه ـ : «كيف بصُرك بالعربية؟ قال: هي مبدؤُنا، وطباعُنا بها قُوِّمت، وألسنتُنا بها جرت، فصارت كالحياةِ لا تتمُّ إلَّا بالسلامة. وكذلك العربية لا تسلَمُ إلا لأهلها، ولقد وُلدتُ وما أعرفُ اللحن، فكنتُ كمن سَلِم من الداء ما سَلِم له

---

(١) «تُحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء» (٣٤).

(٢) «تهذيب الكمال» (٢٣/ ٤٥١).

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ٤١٩).

الدواء، وعاش بكامل الهناء. وبذلك شهد لي القرآن: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم: ٤]»[١].

□ وقال الأصمعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما هِبتُ عالمًا قطُّ ما هِبتُ مالكًا حتى لحَنَ، فذَهبَتْ هيبتُه من قلبي، وذلك أنني سَمعتُه يقول: «مُطِرْنا مطرًا، وأيُّ مطرًا»[٢]؛ فقلتُ له في ذلك، فقال: كيف لو قد رأيتَ ربيعةَ بنَ عبدالرَّحمن[٣]؟ كنَّا إذا قلنا له: «كيف أصبحتَ»، يقول: «بخيرًا بخيرًا»[٤]! وإذا مالكٌ قد جعَل لنفسه قُدوةً في اللحْن!!»[٥].

ثُم رأيتُ مُحمَّدَ بنَ إدريسٍ الشافعيَّ ـ في وقت مالكٍ وبعد مالك ـ، فرأيتُ رجلًا فقيهًا عالمًا، حسنَ المعرفة، بيِّنَ البيان[٦]، عَذْبَ اللسان، يَحتجُّ ويُعرِبُ، لا يَصلُحُ إلَّا لِصَدرِ سريرٍ أو ذُروةِ مِنبَرٍ[٧]، وما عَلِمتُ أنني أفدْتُه حرفًا ـ فضلًا عن غيره ـ، ولقد استفدتُ منه ما لو حَفِظ رجلٌ يسيرَه لكان عالمًا[٨]»[٩].

□ وعن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ما أردتُ بها ـ يعني: العربيةَ والأخبار ـ

---

(١) «الحلية» (٤/ ٨٤).

(٢) لأن الصواب: «وأيَّ مطرٍ» ـ بفتح «أيَّ»، وجرِّ «مطرٍ» ـ.

(٣) شيخُ الإمام أبي حنيفة.

(٤) والصواب: «بخيرٍ بخيرٍ».

(٥) هذا الكلام تعجُّبٌ من الأصمعي من حال مالك، كيف يَحتجُّ بربيعةَ وخطئِه في الكلام ولا ينظر إلى أهل الفصاحة ويقتدي بهم.

(٦) أي: بليغًا فصيحًا.

(٧) أي: يستحقُّ التصدُّرَ للخَطابة والتدريس عن غيره.

(٨) هذا كلامُ الأصمعيِّ بَحر اللغة والنحو والبلاغة والأدب.

(٩) «الفقيه والمتفقه» للخطيب (٢/ ٥٤ ـ ٥٦)، و«الجامع» له (٢/ ١٢).

إلا الاستعانة على الفقه»[(١)].

□ وقال عبدُالملك بنُ هشام النحوي ـ وكان بصيرًا بالنحو والعربية ـ: «الشافعيُّ مِمَّن يؤخذُ عنه اللغة»[(٢)].

□ وقال الشافعي: «إعرابُ القرآن أحبُّ إليَّ من بعض حروفه»[(٣)].

□ وقال الإمام أبو منصور الأزهري ـ وهو من فحول العربية ـ: «ألفيتُ أبا عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ـ أنار اللهُ برهانه، ولقاه رضوانه ـ، أثقبَهم بصيرة، وأبرعَهم بيانًا، وأغزرَهم عِلمًا، وأفصحَهم لسانًا، وأجزلَهم ألفاظًا، وأوسعَهم خاطرًا، فسمعت مبسوطَ كُتبِه، وأمهاتِ أصولِه من بعض مشايخنا، وأقبلتُ على دراستها دهرًا؛ إذ كانت ألفاظه عربيةً محضةً، ومن عُجمة المولَّدين مصونة»[(٤)].

عبدالله بن المبارك:

□ قال العباسُ بنُ مصعب: «جمع عبدُالله بنُ المبارك: الحديثَ، والفقهَ، والعربية، وأيامَ الناس، والشجاعةَ، والتجارةَ، والسخاءَ، والمَحبَّةَ عند الفِرَق»[(٥)].

---

(١) «السير» (١٠/ ٧٥).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٧٣).

(٣) «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٧٤).

(٤) «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي الذي أودعه المزني في مختصره» (٣٣ ـ ٣٤)، نقلًا عن «عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم» للشيخ سليمان ابن إبراهيم العايد (٧).

(٥) «تهذيب الكمال» (١٦/ ١٨)، و«تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٣٦).

الأوزاعي:

□ قال أبو مُسهِر رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان الأوزاعيُّ لا يلحن»[١].

سفيان بن عيينة:

□ جاء في ترجمته: «كان أعلمَ الناس بالعربية في بلده»[٢].

يحيى بن إسحاق الحضرمي:

□ جاء في ترجمته: «كان ثقةً ـ وله أحاديث ـ، وكان صاحبَ قرآنٍ وعلمٍ بالعربية والنحو»[٣].

□ وقال أبو حاتم السجستاني عنه أيضًا: «هو أعلمُ من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحويين»[٤].

أحمد بن حنبل:

□ قال يَحيَى بنُ معين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيتُ خيرًا من أحمدَ بن حنبل قط، ما افتخر علينا قطُّ بالعربية ولا ذَكَرها»[٥].

إبراهيم الحربي:

□ قال ثعلب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما فقدتُ إبراهيمَ الحربيَّ في مَجلسِ لُغةٍ ولا نَحوٍ من خمسين سَنةً»[٦].

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٥/ ١٨٩).

(٢) «تهذيب التهذيب» (٩/ ٢٦٦).

(٣) «الطبقات» (٧/ ٢٥٤)، و«تهذيب الكمال» (٣١/ ٢٠٠).

(٤) «معرفة القراء الكبار» (١/ ١٥٨).

(٥) «تهذيب الكمال» (١/ ٤٤٤).

(٦) «معجم الأدباء» (١/ ١١٨).

محمد بن أسلم الطُّوسي:

□ قال مُحمَّد بنُ القاسم ـ خادم مُحمَّد بن أسلم ـ: «سَمعتُ أبا يعقوبَ المَروَزِيَّ ببغداد، وقلتُ له: قد صحبتَ مُحمَّدَ بنَ أسلمَ، وصحبتَ أحمدَ ابنَ حنبل، أيُّ الرجلين كان عندك أرجحَ أو أكثرَ أو أبصرَ بالدِّين؟ فقال: يا أبا عبدالله، لم تقولُ هذا؟ إذا ذكرتَ مُحمَّدًا في أربعةِ أشياءَ فلا تَقرِنْ معه أحدًا: البَصَرُ بالدِّين، واتباعُ أثَرِ النَّبيِّ ﷺ في الدنيا، وفصاحةُ لسانه بالقرآن والنَّحو»(١).

داود الطائي:

□ قال أبو نعيم: «رأيتُ داودَ الطائي، وكان من أفصح الناس وأعلمهم بالعربية»(٢).

القاسم بن مَعْن:

□ ورد في ترجمته: «عالمُ زمانه، ثقة، كان أروى الناس للحديث والشعر، وأعلمَهم بالعربية والفقه»(٣).

ابن محيصن:

□ جاء في ترجمته: «كان من أعلمِ الناس بالقرآن والعربية»(٤).

أبو عبيد -معمر بن المثنى-:

□ قال أحمدُ بنُ كاملٍ القاضي: «كان أبو عُبيدٍ فاضلًا في دينه وفي

---

(١) «السير» (١٢/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، و«الحلية» (٩/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٢) «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/ ٢١٤).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٢/ ٣٢٢).

(٤) «تهذيب الكمال» (٢١/ ٤٣٠).

علمه، ربَّانيًّا، مفتيًا في أصنافٍ من علوم الإسلام ـ من القرآن، والفقه، والأخبار، والعربية ـ ، حسنَ الرواية، صحيحَ النقل، لا أعلمُ أحدًا من الناس طَعن عليه في شيءٍ من أمرِه ودينه»[1].

شيخ المفسرين ابن جرير الطبري:

□ جاء في ترجمته: «كان عالمًا زاهدًا فاضلًا ورعًا، لمَّا ترعرع حفِظ القرآن، وكتب الحديثَ لطلب اَلعلم، واشتغل به عن سائر أمور الدنيا، وآثَر دارَ البقاء على دار الفناء، ورفض الأهلَ والأقرباء، وكتب فأكثر، وسافر فأبعد، وسَمَح له أبوه في أسفاره، وشكره على أفعاله، وكان أبوه طولَ حياته يَمدُّه بالشيء بعد الشيء إلى البلدان التي يقصِدُها، فيقتاتُ به، وكان يقول: أبطأتْ عني نفقةُ والدي، واضطُررتُ إلى أن فَتقتُ كُمَّيْ قميصي فبعتُهما وأنفقتُه إلى أن لحِقَتني.

وأحكم ما أمكنه إحكامه من علم القرآن والعربية والنحو ورواية شعر الجاهلية والإسلام، وأسند حديثَ النبيِّ ﷺ من طرقة، وما رُوي عن الصحابة والتابعين من علم الشريعة، وعلم اختلاف علماء الأمصار وعللهم، وكتب أصحاب الكلام وحُجَجهم، وكلام الفلاسفة وأصحاب الطبائع وغيرهم»[2].

قاسم بن أصبغ:

□ جاء في ترجمته: «كان بصيرًا بالحديث والرجال، نبيلًا في العربية»[3].

---

(١) «تهذيب الكمال» (٢٣/ ٣٥٩).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٢٠٣).

(٣) «لسان الميزان» (٤/ ٤٥٨).

محمد بن عبدالرحمن بن عبيد القرشي:

□ قال عنه ابنُ عُيينة: «كان أعلمَ مَن عندنا بالعربية»(١).

أبو عمرو بن العلاء:

من أئمة القراء السبعة.

□ قال مَعْمَرُ بنُ المثنَّى: «كان أبو عمرو بنُ العلاء أعلمَ الناس بالقرآن والعربية والعرب وأيامِها والشِّعر وأيامِ الناس»(٢).

□ وقال أبو بكر بن مُجاهد: «كان أبو عمرٍو مقدَّمًا في عصره، عالمًا بالقراءة ووجوهها، وكان قدوةً في العلم باللغة، إمامَ الناس في العربيَة، وكان ـ مع علمه باللغة وفقهه في العربية ـ متمسِّكًا بالآثار، لا يكادُ يُخالفُ في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله، متواضعًا في علمه»(٣).

عاصم بن أبي النجود:

□ في ترجمته: «كان عاصمٌ نحويًّا فصيحًا»(٤).

حمزة بن حبيب الزيات:

من الأئمة السبعة أيضًا:

□ قال الإمام الذهبي: «كان إمامًا حُجَّةً، قيِّمًا بكتابِ اللّه تعالى، حافظًا للحديث، بصيرًا بالفرائض والعربية، عابدًا خاشعًا قانتًا للّهِ، ثخين الورع، عديمَ النظير»(٥).

---

(١) «تهذيب الكمال» (٢٥/ ٦١٤).

(٢) «تهذيب الكمال» (٣٤/ ١٢٤).

(٣) «تاريخ دمشق» (٦٧/ ١٠٩).

(٤) «معرفة القراء الكبار» (١/ ٩١).

(٥) «معرفة القراء الكبار» (١/ ١١٢).

سيبويه:

الإمام العلم الكبير، عمرو بن عثمان بن قَنْبر ـ شيخ العربية ـ.

□ جاء في ترجمته: «طلب الفقه والحديث، ثُم طلب العربية، فبَرَع فيها، وساد أهل زمانه، وصنف فيها كتابه الكبير[١] الذي لم يُصنِّف أحدٌ بعدَه مِثله»[٢].

□ وقال المُبَرِّد رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ سِيبويه كان يَستملـي على حمّادِ بن سلمة، فقال له حمادٌ يومًا: قال رسولُ اللّه ﷺ: «**ما أحدٌ من أصحابي، إلَّا وقد أخذتُ عليه، ليس أبا الدرداء**»[٣]. فقال سيبويه: «أبو الدرداء»[٤]. فقال حمادٌ: لحنتَ يا سيبويه! فقال سيبويهِ: لا جَرَمَ، لأطلبنَّ عِلمًا لا تُلحِّنُني فيه.. فطلب النحو، ولزِم الخليل»[٥].

□ وفي لفظ آخر: «كان سيبويه يختلف إلى حمّاد بن زيد يقرأُ عليه الحديث، فكان يلحن في قراءته، فيردُّ عليه حمادٌ، فأبرمه يومًا لحنُه، فقال له: كم تلحن! أما لك مروءة! فخجل ووجم، فلما قام من مجلسه انقطع إلى الخليل بن أحمد، فقرأ عليه النحو، فمهر فيه وفاق، وسار ذكره في الآفاق»[٦].

---

(١) واسمه «الكتاب».

(٢) «تاريخ الإسلام» (٣/ ٢٩٩).

(٣) ضعيف ـ بنحوه ـ: والذي ورده منسوبا لأبي عبيدة بن الجراح ـ لا أبي الدرداء ـ، رواه الحاكم (٣/ ٢٩٨)، وقال: «مرسل غريب، ورواته ثقات»، ووافقه الذهبي، وضعفه العلّامة الألباني في «ضعيف الجامع» (٥١٣٧) و«الضعيفة» (٤٤٦٩).

(٤) يقصد سيبويه أن الصواب بالرفع.

(٥) «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ ٨٣).

(٦) «غرر الخصائص» (١/ ٩١).

عيسى بن حمران الطائي:

▫ قال الحاكم: «كان من كبار المُحدِّثين وثقاتهم، من أئمة أصحاب العربية»[١].

النضر بن شميل:

▫ قال العباسُ بنُ مُصعبٍ المَروَزيِّ: «كان النضرُ بنُ شُميل إمامًا في العربية والحديث، وهو أولُ مَن أظهر السُّنَّةَ بمَرْوَ وجميعِ خُراسَان»[٢].

الإمام ابن حزم الظاهري:

▫ جاء في ترجمته: «نشأ في نعمةٍ ورياسة، وكان أبوه من الوزراء، ووَلِيَ هو وزارةَ بعض الخلفاء من بني أمية بالأندلس، ثُم تركها، واشتغل في صباه بالأدب والمنطق والعربية»[٣].

ابن دحية:

هو المحدِّث أبو الخطاب بن دِحْية الأندلسي.

▫ جاء في ترجمته: «متَّهمٌ في نَقله، مع أنه كان من أوعيةِ العلم، له حظٌّ وافرٌ من اللغة، ومشاركةٌ في العربية. قال ابن الزبير: كان معتنيًا بالعلم، مشاركًا في فنونه، ذاكرًا للتاريخ والأسانيد والرجال والجرح والتعديل، سُنيًّا مُجانبًا لأهل البدع، سَرِيًّا[٤] نبيلًا»[٥].

---

(١) «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣١٢).
(٢) «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٣٩٠).
(٣) «لسان الميزان» (٤/ ١٩٨).
(٤) السَّريُّ: الشريف.
(٥) «لسان الميزان» (٤/ ٢٩٧).

ابن القوطية:

□ جاء في ترجمته: «تقدَّم في فنِّ الأدب، وكان من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية والنوادر والشعر، مع مشاركةٍ قويةٍ في الفقه والحديث»[(١)].

□ وفي لفظٍ آخر: «كان علَّامةَ زمانه في اللغة والعربية، حافظًا للحديث والفقه، وأخباريًّا لا يُلحَقُ شأوُه، ولا يُشقُّ غبارُه»[(٢)].

أبو الفضل الرياشي:

□ جاء في سيرته: «كان أبوه مولى رجل اسمه «رِياش»، بصريٌّ علَّامةٌ في العربية والشِّعر، ثقةٌ، قتلته الزِّنج»[(٣)].

المبرِّد:

□ جاء في ترجمته: «شيخُ أهل النحو، وحافظُ علمِ العربية، كان عالمًا فاضلًا موثوقًا به في الرواية، حَسَنَ المُحاضَرة، مليحَ الأخبار، كثيرَ النوادر»[(٤)].

أبو جعفر الضرير:

● جاء في ترجمته: «كان ثقةً مأمونًا، عالِمًا بالعربية واللغة، عالِمًا بالقرآن»[(٥)].

أبو بكر الخوارزمي:

□ قال عنه الخطيب البغدادي: «كان ثقةً ورعًا، مُتقِنًا متثبتًا فَهِمًا،

---

(١) «لسان الميزان» ٥/ ٣٢٤)، و«الصِّلة» لابن بُشْكُوال (١/ ١١٤).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٦/ ٢٢٨).
(٣) «الكاشف» (١/ ٥٣٦).
(٤) «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٨٠).
(٥) «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٤٥).

حافظًا للقرآن، عارفا بالفقه، له حظٌّ من علمِ العربية، كثيرَ الحديث، حسنَ الفهم له والبصيرةِ فيه»[١].

عبدالله بن إدريس بن يزيد الكوفي:

□ وقال ابنُ عمَّار: «كنَّا عند ابن إدريس يومًا، فحدَّثنا ـ وكان رجلٌ يسألُه ـ ، فسأله فلحَن فيما سأله، فقال ابن إدريس ـ لمَّا رآه يَلحنُ ـ : ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠﴾ [مريم]، ثُم قال: لا واللّه، إنْ[٢] حدثتُكم اليوم بحديث.

وكان ابنُ إدريس إذَا لحَن الرجلُ عنده في كلامه لم يُحدِّثْه، وقال: ليس عندكم بالمَوصِل من يتكلمُ بالعربية؟!.

قال[٣]: وذاك أني كنتُ أسأل[٤]، فقال لي عليٌّ بنُ المُعافى: دعْني حتى أسأل أنا ـ وكان صاحبَ عربية ـ ، فأوَّل ما أخذ يسألُ أخطأَ خطأً فاحشًا! فأمسك ابنُ إدريس عن الحديث، وحلَف ألَّا يُحدِّثَنا ذلك اليوم، فلم يُحدِّثْنا»[٥].

أبو بكر بن دُريد:

□ قال أبو عليّ ـ الحسنُ بنُ سهل بن عبداللّه ـ القاضي: «رأينا جنازةً ومعها جماعةٌ ـ عَرفتُهم بالأدب ـ ، فقلتُ لهم: جنازةُ مَن هذه؟ فقالوا: جنازةُ أبي بكرِ بن دُريد. فذكرتُ حديثَ الرَّشيد لمَّا دُفن مُحمدُ بنُ

---

(١) «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٧٤).

(٢) أي: ما «النافية».

(٣) أي: ابن عمار.

(٤) أي: إذا كان هناك سؤال لأحد سألته أنا.

(٥) «تاريخ بغداد» (١١/ ٧٢ ـ ٧٣).

الحسن والكِسائيُّ بالرَّيِّ في يومٍ واحد ـ وكان هذا في سنة ثلاثٍ وعشرينَ وثلاثِمئةٍ ـ ؛ فأخبَرتُ أصحابَنا بالخبر، وبَكينا على الكلامِ والعربية طويلًا.. ثُم افترقنا»[١].

الكسائي:

أحد أئمة القراء السبعة.

◻ قال أبو العباس ـ ثعلبٌ ـ : «قال لي خَلفٌ: أولمتُ وليمةً، فدعوتُ الكِسائيَّ واليزيديَّ، فقال اليزيديُّ للكِسائي: يا أبا الحسن، أمورٌ تبلُغُنا عنك، وحكاياتٌ تتَّصلُ بنا يُنكَرُ بعضُها! فقال الكسائي: أَوَ مثلي يُخاطَبُ بهذا؟! وهل مع العالِمِ مِن العربية إلا فَضلُ بُصاقي هذا ـ ثُم بَصَق ـ، فسكت اليزيديُّ»[٢].

◻ وقال الإمام الذهبي عن الإمام الكِسائي أيضًا: «إليه انتهت الإمامةُ في القراءة والعربية»[٣].

قالون:

أحد الأئمة السبعة أيضًا.

◻ قال عنه الإمام الذهبي: «وتبتَّل «قالونُ» لإقراءِ القرآن والعربية»[٤].

يحيى بن المبارك اليزيدي:

◻ قال عنه الذهبي: «كان فصيحًا مفوَّهًا، بارعًا في اللغات والآداب»[٥].

---

(١) «تاريخ بغداد» (١١/ ٥٥).

(٢) «تاريخ بغداد» (١١/ ٤٠٩).

(٣) «معرفة القراء الكبار» (١/ ١٢١).

(٤) «معرفة القراء الكبار» (١/ ١٥٥).

(٥) «معرفة القراء الكبار» (١/ ١٥٢).

الفرَّاء:

□ قال ثعلب: «لولا الفَرَّاءُ لَمَا كانت عربيةٌ، لأنه خلَّصها وضبطها، ولولا الفرَّاءُ لسقطت العربية، لأنَّها كانت تُتنازع، ويدعيها كلُّ مَن أراد، ويتكلمُ الناسُ فيها على مقاديرِ عقولِهم وقرائحِهم فتذهب»[١].

حماد بن سلمة:

□ جاء في ترجمته: «كان بارعًا في العربية، فقيهًا، فصيحًا، مفوَّهًا، صاحبَ سُنَّةٍ»[٢].

□ وقال يونسُ النحوي: «مِن حمّادِ بن سلمة تعلمتُ العربية»[٣].

□ وقال حمّادٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ابنُ حمّادِ بن أبي سليمان يَختلفُ إليَّ يتعلمُ العربية مني»[٤].

أبو إسماعيل الهروي:

□ جاء في ترجمته: «كان على حظٍّ تامٍّ من معرفة العربية والحديث والتواريخ والأنساب.. إمامًا كاملًا في التفسير، حَسَنَ السِّيرة في التصوف»[٥].

الحُميدي:

□ قال إبراهيمُ السَّلَماسي عنه: «لم تَرَ عيناي مِثل الحُميديِّ في فضله ونُبلِه وغزارةِ علمه وحرصِه على نشر العلم، وكان ورعًا ثقةً إمامًا في

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٤٩).
(٢) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٣).
(٣) تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي.
(٤) «الكامل في التاريخ» (٢/ ٢٣٦).
(٥) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٨٩).

الحديث وعلله ورُواته، متحقِّقًا في علم التحقيق والأصول، على مذهب أصحاب الحديث بموافقةِ الكتاب والسُّنة، فصيحَ العبارة، متبحِّرًا في علم الأدب والعربية والترسُّل»[1].

الإمام الغسَّاني -محدث الأندلس-:

□ جاء في ترجمته: «كان من جهابذةِ الحُفَّاظِ البُصَراء، بصيرًا بالعربية واللغة والشعر والأنساب، صنف في ذلك كله، ورحل الناس إليه، وعوَّلوا في النقل عليه، وتصدَّر بجامع قُرطبة، وأخذ عنه الأعلام، وأثنَى عليه غير واحد، ووصفوه بالجلالة والحفظِ والنباهة والتواضع والصيانة»[2].

الإمام حَمْد بن نصر بن أحمد:

□ جاء في ترجمته: «حافظٌ ثقةٌ مُكثِر، وكان مع بصره بهذا الشأن عارفًا بفقه أحمدَ بن حنبل، ناصرًا للسُّنة، عالمًا بالعربية، وافرَ الجلالة»[3].

الإمام أبو القاسم التيمي:

□ جاء في ترجمته: «كان فاضلًا في العربية ومعرفة الرجال»[4].

الإمام أبو طاهر السِّلَفي:

□ جاء في ترجمته: «بَقِي في الرِّحلة بضعَ عشرةَ سنةً، وسَمِع ما لا يُوصَفُ كثرةً، ونَسَخ بخطه الصحيح السريع، وهو في غضون ذلك يقرأ القرآن والفقه والعربية وغير ذلك، وكان متقنًا متثبتًا ديِّنًا خيِّرًا حافظًا ناقدًا

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٢١٩).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٢٣٤).

(٣) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٢٤٩).

(٤) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٢٨١).

مَجموعَ الفضائل»(١).

الإمام ابن حبيش -قاضي الأندلس-:

□ جاء في ترجمته: «كان عالمًا بالقراءات، إمامًا في علم الحديث، عارفًا بعِللِه، واقفًا على رجاله، لَم يكن بالأندلس مَن يُجاريه فيه ـ أقرَّ له بذلك أهلُ عصره ـ، مع تقدُّمه في اللغة والأدب واستقلالِه بغير ذلك من جميع الفنون، وكان له حظٌّ من البلاغة والبيان، صارمًا في أحكامه، جَزْلًا في أموره، تصدَّر للإقراء والتسميع والعربية، وكانت الرحلةُ إليه في زمانه، وطال عمرُه»(٢).

الإمام أبو القاسم بن الطيلسان:

مُحدِّث الأندلس وعالمها.

□ جاء في ترجمته: «تصدَّر للإقراء والإسماع، وكان له معرفةٌ بالقراءات والعربية، متقدِّمًا في صناعةِ الحديث متفننًا»(٣).

الحافظ الدِّمياطي:

□ قال الإمامُ الذهبي: «شيخُنا، الإمام العلَّامة، الحافظ الحُجَّة، الفقيه النسَّابة، شيخ المُحدِّثين. كان صادقًا حافظًا متقنًا، جيِّدَ العربية، غزيرَ اللغة، واسعَ الفقه، رأسًا في عِلم النَّسَب، ديِّنًا، كيِّسًا، متواضعًا، بسَّامًا، مُحبَّبًا إلى الطلبة، مليحَ الصورة، نقيَّ الشَّيبة، كبيرَ القَدْر»(٤).

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٢٩٩).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٥٤).

(٣) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٤٢٧).

(٤) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٤٧٨).

الإمام أبو الحجاج المِزِّي:

◻ قال عنه الإمام الذهبي: «شيخُنا الإمام العالم، الحَبْرُ الحافظُ الأوحد، مُحدِّثُ الشام، نَسَخ بخطِّه المليح المتقَن كَثيرًا لنفسه ولغيره، ونظر في اللغة، ومَهَر فيها وفي التصريف، وقرأ العربية، وأما معرفةُ الرجال، فهو حاملُ لوائها والقائمُ بأعبائها، لم تَرَ العيونُ مِثله»[(١)].

الإمام أبو الوليد الكاتب:

هو صالح بن عبدالرَّحمن ـ أبي الوليد الكاتب ـ.

◻ جاء في ترجمته: «مِن أهل البصرة، كان أبوه سُبيَ وسُبي [صالِحٌ] معه، واشترتْهم امرأةٌ من بني النَّزال بن عبيد، فأعتقتهم، فتعلم صالِحٌ كتاب العربية والفارسية، وكان فصيحًا جميلًا»[(٢)].

الإمام أبو الحسن الأنطاكي:

◻ جاء في ترجمته: «المقرئ، الفقيه الشافعي، قدم الأندلس، وكان عالمًا بالقراءات، رأسًا فيها، لا يتقدَّمُه أحدٌ في معرفتها في وقته، بصيرًا بالعَربية والحساب، له حظٌّ من الفقه، على مذهب الشافعي»[(٣)].

سليمان بن عبدالملك:

◻ جاء في ترجمته: «كان فصيحًا بليغًا يُحسِنُ العربية، ويرجعُ إلى دينٍ وخيرٍ ومَحبَّةٍ للحق وأهلِه، واتباعِ القرآن والسُّنة، وإظهارِ الشرائع الإسلامية»[(٤)].

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٤٩٨).

(٢) «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٣٤٣).

(٣) «مختصر تاريخ دمشق» (١/ ٢٤٥٧).

(٤) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٠٧).

الإمام الليث بن سعد:

□ جاء في ترجمته: «كان إمامًا في الفقه والحديث والعربية»[١].

الإمام أبو بكر الأنباري:

□ جاء في ترجمته: «كان من بُحور العلم في اللغة العربية والتفسير والحديث وغير ذلك»[٢].

الإمام أبو محمد الجويني:

□ جاء في ترجمته: «كان إمامًا في الفقه والأصول والأدب والعربية»[٣].

الإمام ابن سِيْدَهْ[٤]:

□ قالوا في ترجمته: «كان إمامًا حافظًا في اللغة، وكان ضريرَ البصر، أخذ علمَ العربية واللغة عن أبيه ـ وكان أبوه ضريرًا أيضًا[٥] ـ»[٦].

الإمام أبو القاسم القُشيري:

□ جاء في ترجمته: «تُوفِّي أبوه وهـو طفـلٌ، فقـرأ الأدب والعربية، وصحب الشيخ أبا عليّ الدَّقَـاق، وأخـذ الفقـه عن أبي بكرِ ابن مُحمد الطُّوسي، وصنف الكثيرَ»[٧].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ١٧٨).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٢٢).

(٣) سِيْدَهْ: بكسر السين، وسكون الياء، وفتح الدال، بعدها هاء.

(٤) «البداية والنهاية» (١٢/ ٧٠).

(٥) وهذا من أعجب العجب.

(٦) «البداية والنهاية» (١٢/ ١١٧).

(٧) «البداية والنهاية» (١٢/ ١٣١).

الإمام زيد بن الحسن الكِندي:

□ جاء في ترجمته: «فاق أهل زمانه شرقًا وغربًا في اللغة والنحو، وغيرِ ذلك من فنون العلم، وعلوِّ الإسناد، وحسن الطريقة والسيرة، وحسن العقيدة، وانتفع به علماء زمانه، وأثنوا عليه، وخضعوا له»[(١)].

الإمام الشمس ابن الخبَّاز:

□ جاء في ترجمته: «اشتَغل بعلم العربية، وكان شافعيَّ المذهب، كثير النوادر والملح، وله أشعارٌ جيِّدة»[(٢)].

الخليفة المستعصم:

□ جاء في ترجمته: «أتقن في شبيبتـه تـلاوةَ القـرآن حفظًا وتَجويدًا، وأتقن العربية والخط الحسن، وغير ذلك من الفضائل»[(٣)].

الإمام زين الدين بن مُنجَّى:

□ جاء في ترجمته: «شيخُ الحنابلة وعالِمُهم، سَمع الحديث وتفقَّه، وبَرع في فنونٍ من العلم كثيرة من الأصول والفروع والعربية والتفسير.. وغير ذلك»[(٤)].

الأمير أبو يحيى الهنتاني الجياني:

□ ورد في ترجمته: «أميرُ بلاد المغرب، وقرأ الفقه والعربية»[(٥)].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٨٦).

(٢) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٨٤).

(٣) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٨٨).

(٤) «البداية والنهاية» (١٣/ ٤٠٧).

(٥) «البداية والنهاية» (١٤/ ١٩٠).

الإمام ابن سيِّد الناس:

□ جاء في ترجمته: «اشتَغل بالعلم، فبَرع وساد أقرانه في علومٍ شتَّى من الحديث والفقه والنحو من العربية وعلم السير والتواريخ.. وغير ذلك من الفنون»(١).

الإمام قطب الدين التبريزي:

قاضي قضاة بغداد قطب الدين التبْريزي الشافعي.

□ جاء في ترجمته: «سَمع شيئًا من الحديث، واشتغل بالفقه والأصول والمنطق والعربية والمعاني والبيان، وكان بارعًا في فنونٍ كثيرة»(٢).

الإمام عبدالواحد بن الحسين:

□ ورد في ترجمته: «كان ثقةً، بصيرًا بالعربية، عالِمًا بوجوه القراءات، حافظا لمذاهب القُرَّاء»(٣).

الإمام أبو نصر الرامشي:

□ جاء في ترجمته: «سافر الكثير، وسَمع الكثير، ورحل في طلب القراءات والحديث، وكان مبَـرَّزًا في علـوم القـرآن، وله حظٌّ في علم العربية»(٤).

الخليفة المأمون:

□ ورد في ترجمته: «بَرع في الفقه والعربية وأيام الناس»(٥).

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ١٩٦).

(٢) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٠٣).

(٣) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٨/ ١٩٩).

(٤) «المنتظم» (٩/ ١٠٢).

(٥) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (٢٦٨).

الإمام عثمان بن سعيد المصري:

المشهور بـ«ورش»[١] أحد القرَّاء السَّبعة.

□ جاء في ترجمته: «اشتَغل وبَـرَع في التـلاوة، وانتهت إليـه رئاسةُ الإقراءِ بالديار المصرية، وكان بصيرًا بالعربية»[٢].

الأمير أبو محمد الباهلي الخراساني:

□ جاء في ترجمته: «وَليَ خُراسانَ، وكان بصيرًا بالحديث والعربية»[٣].

الإمام عبدالله بن سعيد الأموي:

□ ورد في ترجمته: «كان ثقةً علَّامةً في اللغة والعربية»[٤].

الإمام يحيى بن السكن:

□ ورد في ترجمته: «كان ثقةً ثَبْتًا عالِمًا بالكتاب والسنة، وله معرفةٌ باللغة والعربية»[٥].

الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي:

□ جاء في ترجمته: «لم يُـرَ في زمنـه مثلُـه؛ وكـان عالمًا بالعربية ووجوهِها، والقرآن واختلافِه، فاضلًا تقيًّا نقيًّا، ورعًا زاهدًا، بَلَغ مِن زُهده أن سُرِق رداؤه عن كتفه وهو في الصلاة ولم يشعر، ورد إليه فلم يشعر ـ

---

(١) لقَّبه بذلك شيخُه الإمام «نافع» ـ إمام القراءة ـ ، وذلك لشدة بياض عثمان. و«الوَرْش»: شيءٌ يُصنع من اللبن. وقال بعضهم: بل لقبه «ورشان» ـ اسم لطائر معروف ـ .

(٢) «تاريخ الإسلام» (٣/ ٤٩٩).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٤/ ٣٩).

(٤) «تاريخ الإسلام» (٤/ ٤٥).

(٥) «تاريخ الإسلام» (٤/ ٨٧).

لشُغله بعبادةِ ربه ـ»[(١)].

الإمام سهل بن محمد السجستاني المقرئ:

□جاء في ترجمته: «حمل الناسُ عنه القرآن والحديث والعربية»[(٢)].

أبو عثمان الحداد المغربي:

شيخ المالكية في زمانه.

□جاء في ترجمته: «إمامٌ مُجتهدٌ كبير الشأن، كانت له مقاماتٌ مَحمودةٌ في الذب عن السنة، ناظَرَ أبا العباس الشيعيَّ ـ داعي الروافض ـ ، وناظر بالقَيرَوان الفرَّاء ـ شيخ المعتزلة ـ ، وكان إمامًا في اللغة والعربيـة والنظر، إلا أن كان يَحُطُّ على المالكية، ويُسمِّي «المدوَّنة»: «المدوَّدة»! فسبَّه المالكية، وقاموا عليه، ثُم اغتفروا له ذلك وأحبُّوه لمَّا ناظَرَ الشيعيَّ ونَصَر الحق»[(٣)].

الإمام أبو جعفر الأنباري:

□جاء في ترجمته: «كان ثقةً عظيم القدر، واسعَ الأدب، تامَّ المروءة، فقيهًا حنفيًّا بارعًا في العربية»[(٤)].

الإمام إبراهيم بن أحمد الفهري:

□ورد في ترجمته: «كان عارفًا بالفقه والعربية، فصيحًا مرابطًا»[(٥)].

البـافي:

الفقيه الشافعي: محمد بن عبدالله.

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٤/ ٩٠).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٤/ ٤٩٧)
(٣) «تاريخ الإسلام» (٥/ ٣١٤).
(٤) «تاريخ الإسلام» (٥/ ٤٠٧).
(٥) «تاريخ الإسلام» (٦/ ٢٨٩).

□ ورد في ترجمته: «الفقيه الشافعي، برع في المذهب، وكان ماهرًا بالعربيـة، حاضِرَ البديهة، حُلوَ النَّظم»(١).

أبو علي الدَّقاق:

الزاهد النيسابوري.

□ جاء في ترجمته: «الزاهد النَّيسابوري، شيخُ الصوفية، لسانُ وقته، وإمامُ عصره، تعلم العربية، وحَصَّل علم الأصول، وخَرج إلى مَرْوَ، فتفقَّه بها على الخُضري»(٢).

الإمام الحسين بن محمد الصوري:

□ جاء في ترجمته: «كان شيخَ صُورَ في العربية والفقه»(٣).

الإمام سعيد بن محمد بن شعيب:

الخطيب الأديب الأندلسي.

□ جاء في ترجمته: «كان عالمًا بمعاني القرآن وقراآته، متقدِّمًا في العربية، حافظًا ثَبْتًا»(٤).

الإمام أبو الوليد الصفَّار:

قاضي القضاة بقرطبة.

□ قال صاحبه أبو عمر بن مهدي: «كان من أهل العلم بالحديث والفقه، كثيرَ الرواية، وافرَ الحظ من العربية واللغة، قائلًا للشِّعر النفيس،

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٦/ ٣٩٢).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٦/ ٤٤٤).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٦/ ٤٨٩).

(٤) «تاريخ الإسلام» (٧/ ٢٠).

بليغًا في خُطبه، كثيرَ الخشوع فيها، لا يتمالكُ مَن سَمِعَه عن البكاء، مع الزهد والفضل والقنوع باليسير، ما لقيتُ في شيوخنا من يُضاهيه في جميع أحواله، كنتُ إذا ذاكرتُه شيئًا من أمر الآخرة يَصفرُّ وجهُه ويُدافعُ البكاء ـ وربَّما غلبه ـ ، وكان الدمعُ قد أثَّر في عينيه وغيرهما لكثرة بكائه، وكان النورُ باديًا على وجهه، وصحب الصالحين»(١).

الملك أبو منصور خسرو فيروز:

□ ورد في ترجمته: «وَليَ إِمرةَ «واسطَ» لأبيه، وبرع في الأدب والأخبار والعربية، وأكبَّ علَى اللهو والخلاعة!»(٢).

سبحان اللّه! خليعٌ رقيع، ويُتقنُ اللسانَ الرفيع!.

عبدالله بن مفوز المعافري:

□ جاء في ترجمته: «زاهد الأندلس، كان عجبًا في الزهد والتقلُّل والخير، مع براعةٍ في الفقه وجَودةِ العربية»(٣).

أحمد بن علي الشيرازي:

□ ورد في ترجمته: «العلَّامة، مسند نَيسابور في وقته، الأديب المُحدِّث، المتقن السماع، ما رأينا شيخًا أورعَ منه ولا أشدَّ إتقانًا، حَصَل على حظٍّ وافرٍ من العربية، وكان لا يُسامِحُ في فوات كلمةٍ ممَّا يُقرأُ عليه، ويراجَعُ في المشكلات ويبالغ، رحل إليه العلماء من الأمصار»(٤).

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٧/ ٧٠).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٧/ ١٢٤).

(٣) «تاريخ الإسلام» (٧/ ٢٥٩).

(٤) «تاريخ الإسلام» (٧/ ٣٩٠).

الإمام أبو الحسن الرُّعَيني الإشبيلي الأندلسي:

□ جاء في ترجمته: «المقرئ خطيب إشبيلية، علمٌ من أعلام البيان، بَذَّ في صنعة الإقراء، وبَرَز في العربية، مع علمٍ بالحديث وفقهٍ بالشريعة»(١).

الملك عز الدين أبو سعد:

صاحب بَعْلُبَك ـ ابن أخي السلطان صلاح الدين ـ.

□ جاء في ترجمته: «كان كثيرَ الصدقة والتواضع، ولديه فضيلةٌ في العربية والشِّعر»(٢).

الإمام أبو الربيع التجيبي:

□ ورد في ترجمته: «كان عارفًا بالعربية والفقه، وتصدَّر للإقراء والعربية»(٣).

مُحمد بن أحمد بن رشد:

حفيد العلَّامة ابن رشد الفقيه.

□ ورد في ترجمته: «كان يُفزعُ إلى فُتياه في الطب ـ كما يُفزع إلى فتياه في الفقه ـ، مع الحظ الوافر من العربية»(٤).

الحافظ عبدالرحمن الأزدي:

□ جاء في سيرته: «كان حافظًا للحديث، مُتقِنًا، ذا حظٍّ من العربية، مدرِّسًا للفقه»(٥).

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٨/ ٢٢٤).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٧٥)
(٣) «تاريخ الإسلام» (٩/ ١٣٤).
(٤) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٢٣٩).
(٥) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٢٨٨).

الإمام الكُشْمَيْهَني:

مُحمد بن أبي عبدالرَّحمن المروزي ـ الكُشْمَيْهَني ثُم البغدادي ـ.

□ جاء في سيرته: «سَمِع من غير واحد، وتفقَّه على مذهب الشافعي، وبَـرَع في المذهب، وتكلم في مسائلِ الخلاف، واشتغل بالعربية»(١).

الإمام الثعلبي:

أبو إسحاق النيسابوري ـ صاحب التفسير المشهور ـ.

□ جاء في ترجمته: «كان أوحدَ زمانه في علم القرآن، عالِمًا بارعًا في العربية، حافظًا موثَّقًا»(٢).

الإمام ابن خير:

□ جاء في ترجمته: «الحافظُ المُقرئ، أبو بكر محمد الأَمَوي ـ بفتح الهمزة ـ ، خالُ مصنِّف «الروض الأنف»(٣)، وأحدُ الأئمة المشهورين بالإتقان والتقدم في العربية والقراآت والرواياتِ والضبط»(٤).

الإمام إسماعيل بن مُحمد الأصبهاني:

الملقَّب بـ«قوَّام السنة».

□ جاء في سيـرته: «إمامٌ في التفسيـر، والحديث، واللغـة، والأدب، عارفٌ بالمتون والأسانيد، عديمُ النظير، لا مثيل له في وقته، وكان فاضلًا في العربية ومعرفة الرجال، عارفًا بكل علمٍ، متفننًا»(٥).

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٤٨٦).

(٢) «طبقات المفسرين» للسيوطي (١٧).

(٣) وهو الإمام السُّهَيلـي.

(٤) «فتح المغيث» للسخاوي (١/ ١١٣).

(٥) «طبقات المفسرين» للسيوطي (٢٦).

الإمام ابن المنيِّر السَّكَندري:

□ جاء في ترجمته: «أحدُ الأئمة المتبحِّرين في العلوم، من التفسير والفقه والأصلين والنظر والعربية والبلاغة والإنشاء»[١].

الإمام محمد بن محمد الأقسرائي:

□ ورد في ترجمته: «كان جامعًا للعلوم الشرعية والعقلية والعربية، ودرَّس العلوم وأفاد، وصنَّف وأجاد، وانتفع به كثيرٌ من العلماء والفضلاء»[٢].

الإمام أبو عمرو بن الصلاح:

إمام الحديث في عصره بلا مدافعة.

□ جاء في ترجمته: «كان إمامًا بارعًا، حُجَّةً متبحِّرًا في العلوم الدينية، بصيرًا بالمذهب ووجوهه، خبيرًا بأصوله، عارفًا بالمذاهب، جيِّدَ المادة من اللغة والعربية»[٣].

شيخ الإسلام ابن تيمية:

العلم البحر العلَّامة، إمام المسلمين، وحسنةُ الدهر، وبركة الأيام.

كانت عربيَّتُه قويةً جدًّا، ويتضحُ ذلك جليًّا من اطلاعةٍ يسيرةٍ على «مجموع الفتاوى» ـ لا سيِّما التفسير ـ، كيف لا، وقد كان له اليدُ الطولى فيها، حتى إن من سمعه يتحدثُ في العربية ظنَّ أنه لا يُحسن غيرها.

□ جاء في ترجمته: «حفِظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ أيامًا في

---

(١) «طبقات المفسرين» للأدنروي (٢٥٢).

(٢) «طبقات المفسرين» للأدنروي (٢٩٣).

(٣) «فتح المغيث» للسخاوي (١/ ١٧).

العربية على ابن عبدالقوي ـ أبي محمد ـ ، ثم فهمها، وأخذ يتأمل «كتاب» سيبويه حتى فهِمه، وبرع في النحو، وأقبل على التفسير إقبالًا كليًّا حتى حاز فيه قصْبَ السَّبق، وأحكم أصول الفقه.. وغير ذلك»[1].

الإمام ابن قيم الجوزيَّة:

□ ورد في ترجمته: «صار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحديث والأصول ـ فقهًا وكلامًا ـ والفروع والعربية، ولم يُخلِّفِ الشيخُ العلامةُ تقيُّ الدين ابنُ تيمية مِثله»[2].

أحمد بن إبراهيم بن سباع «ابن الفركاح»:

الملقب بـ«شرف الدين»، والمشهور بـ«ابن الفركاح»:

□ قال الذهبي في «المعجم المختص»: برع في النحو، وتصدَّر لإقرائه مدةً، وكان فصيحًا مفوَّهًا، وخطيبًا بليغًا، لا يكاد يلحن، ليِّنَ الكلمة، طيِّب النغمة، حسنَ التودُّد والدين والأمانة»[3].

الإمام الذهبي:

□ جاء في ترجمته رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد عُني بدراسة النحو، فسمع «الحاجبية» في النحو على شيخه «موفق الدين أبي عبدالله محمد بن أبي العلاء النَّصيبي البعْلُبكي المتوفّى سنة (٦٩٥هـ).

ودَرَس على شيخ العربية وإمام أهل الأدب في مصر آنذاك، الشيخ بهاء

---

(١) انظر: «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية عبر سبعة قرون» (٢٥٠ ـ ٣٣٢ ـ ٣٩٩ ـ ٤٦٩ ـ ط: دار عالم الفوائد).

(٢) «الوافي بالوَفَيات» للصفَدي (١/ ٢٦١).

(٣) نقلًا عن «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» (١/ ٢٨).

الدين محمد بن إبراهيم المعروف بـ«ابن النحَّاس» المتوفَّى سنة (٦٩٨هـ).
إضافةً إلى سماعه لعددٍ كبير من مجاميع الشعر واللغة والآداب»[(١)].

□وفي ترجمته أيضًا: «وقد عرفنا من سيرة الذهبي ومكانته العلمية: أنه قد حصَّل طرَفًا صالحًا من العربية ـ في نحوِها وصرفِها وآدابها ـ، كما أنه عُني عنايةً كبيرةً في مَطْلَعِ حياته بالقراآت التي تقوم في أساسها على علمٍ تامٍّ بالعربية، وقد تعاطَى الشِّعرَ، فنَظَمَ اليسيرَ منه.

لكل ذلك أصبحت لغتُه قويَّةً جدًّا، بحيث يصعبُ أن نجدَ في كتابه لحنًا أو غلطًا لُغويًّا، أو استعمالًا عاميًّا، فإذا كان النادرُ من ذلك، فإنه من سهوِ القلم، أو الذهول، أو بعض ما يغلَطُ فيه الخواص، وليس ذاك بشيءٍ»[(٢)].

□وقال العلَّامة المحقق بشَّار بن عوَّاد بن معروف: «إن معرفة اللغة العربية معرفةً جيدةً، والتمتُّعَ بالأسلوب الرصين، من العوامل المهمة التي تُخرِجُ ترجمةً جيدةً يُنتفع بها، والقولُ بأن المعنيَّ بعلم التراجم لا يحتاجُ كلَّ هذه المعرفة قولٌ فاسد، وقد أشار شيخُ الذهبي ورفيقُه الحافظ أبو الحجَّاج المِزِّي في نهاية تقديمه لكتابه العظيم «تهذيب الكمال» إلى هذه الضرورة، فقال: «وينبغي للناظر في كتابنا هذا أن يكون قد حصَّل طرفًا صالحًا من علم العربية ـ نحوها ولغتها وتصريفها ـ، ومن علم الأصول والفروع، ومن علم الحديث والتواريخ وأيامِ الناس، فإنه إذا كان كذلك، كثُر انتفاعه به، وتمكَّن من معرفة صحيح الحديث وضعيفه، وذلك خصوصيةُ المحدِّث التي من نالها وقام بشرائطِها ساد

(١) مقدمة «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٢).
(٢) مقدمة «السير» (١/ ١١٧).

أهل زمانه في هذا العلم، وحُشر يوم القيامة تحت اللواء المحمدي ـ إن شاء اللّهُ تعالى ـ»[١].

الحافظ السيوطي:

□ قال عن نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن عِلمَ الحديث رفيعُ القَدْر، عظيمُ الفخر، شريفُ الذِّكر، لا يَعتني به إلَّا كلُّ حَبْر، ولا يُحرَمُه إلا كلُّ غَمْر[٢]، ولا تَفنى محاسنُه على ممرِّ الدهر.

وكنتُ ممن عَبَر إلى لُـجَّةِ قاموسه، حيث وقف غيري بشاطئه، ولم أكتفِ بوِرد مجاريه، حتى بقَرتُ عن منبعه ومناشئه، وقلت لمن على الراحة عوَّل، متمثِّلًا بقول الأول:

لسنا وإنْ كنا ذَوِي حسبٍ ... يومًا على الأحساب نتَّكلُ

نبني كما كانت أوائلُنا ... تبني ونفعلُ مثلَ ما فعلوا

مع ما أمدَّني اللّهُ تعالى به من العلوم، كالتفسير الذي به يُطَّلعُ على فهْم الكتاب العزيز، وعلومِه التي دوَّنتها ولم أُسبَقْ إلى تحريرها الوجيز، والفقهِ الذي مَن جَهِله فأنَّى له الرفعةُ والتمييز؟، واللغة التي عليها مدارُ فهم السّنة والقرآن، والنحوِ الذي يُفتضح فاقدُه بكثرة الزلل، ولا يصلحُ الحديث للَّحَّان، إلا غير ذلك من علوم المعاني والبيان التي هي لبلاغةِ الكتاب والحديث تبيان..»[٣].

---

(١) مقدمة «سير أعلام النبلاء» (١/ ١١٨).

(٢) الغَمْر: الجاهل.

(٣) مقدمة «تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي» (١/ ٣٤ ـ ط: دار العاصمة).

العلامة الزَّبيدي:

محمدُ بنُ محمد بن محمد بن عبدالرزَّاق الحُسينى الزَّبيدى، أبو الفيض، صاحب «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين».

□ جاء في ترجمته: «كان علَّامةً باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنِّفين»[١].

العلامة محمد بن إبراهيم الوزير اليمني:

صاحب «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ»[٢].

□ ورد في ترجمته: «تلقَّى العلمَ عن طائفةٍ من العلماء: فأخذ العربية عن الهادي بن إبراهيم الوزير، ومحمد بن حمزة بن مظفَّر، وأخذ علم الكلام عن عليّ بن عبدالله بن أبي الخير اليمني، وأخذ التفسير عن عليّ ابن محمد بن أبي القاسم، وأخذ الفقه عن عبدالله بن حسن الدواريَ وغيره من مشايخ «صعدة»، وأخذ علم الحديث عن عليّ بن عبدالله بن ظهيرة بمكة المكرمة، وفي غيرها عن نفيس الدين العلويَ»[٣].

أحمد بن يحيى بن المرتضى «المهدي»:

صاحب «حدائق الأزهار»[٤].

□ جاء في ترجمته: «وُلد بمدينة «ذِمار»، وارتضع ثديَ العلم، ورُبّي في حِجْر العلم، ودأب على التحصيل والمدارسة، وقرأ في علم العربيَة، فلبِث في قراءة النحو والتصريف والمعاني والبيان قدْرَ سبعِ سنين، وبرع

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٧/ ٧٠).

(٢) وهو مطبوع في تسعة مجلدات، بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٣) «البدر الطالع في »

(٤) والذي شرحه العلَّامة الشوكاني في «السيل الجرار».

في هذه العلوم الثلاثة، وفاق غيره من أبناء زمانه»[١].

أحمد بن إبراهيم الفزاري:

الإمام الكبير، مُحدث الشام.

□ ورد في سيرته: «كان فصيحًا مفوَّهًا، عديْمَ اللحن، عذبَ القراءة»[٢].

الشيخ علي الطنطاوي:

□ جاء في ترجمته: «كان الشيخُ من الذين جمعوا في الدراسة بين طريقتَي التلقِّي على المشايخ، والدراسةِ في المدارس النظامية، فقد تعلَّم في هذه المدارس إلى أن تخرَّج من الجامعة، وكان يقرأُ معها على المشايخ علومَ العربية والعلوم الدينية على الأسلوب القديم»[٣].

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:

العلامة المفسر، صاحب «التحرير والتنوير».

□ جاء في ترجمته: «تلقَّى العلمَ كأبناء جيله، حيث حَفِظ القرآن، واتجه إلى حفظِ المتون السائدة في وقته، ولمَّا بلغ الرابعةَ عشْرةَ من عمره، التحق بجامع «الزيتونة» سنة (١٣١٠هـ)، وشرع ينهلُ من مَعينِهِ في تعطُّشٍ وحبٍّ للمعرفة، ثم برز ونبغ في شتى العلوم، سواءٌ في علوم الشريعة أو اللغة أو الآداب أو غيرها، فكان آيةً في ذلك كله»[٤].

---

(١) من مقدمة «السيل الجرار» للعلامة الشوكاني (١/ ٦٦ ـ تحقيق العلامة محمد صبحي حسن حلاق ـ ط: دار ابن كثير).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٥٠٠).

(٣) «مقالات لكبار كتاب العربية» للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد (١/ ٢٣ ـ ط: دار ابن خزيمة) هامش (٢).

(٤) «مقالات لكبار كتاب العربية» (١/ ٣٤) هامش (٢).

العلامة محمد الأمين الشنقيطي:

صاحب «أضواء البيان».

□ جاء في ترجمته: «بعد أن أتمَّ حفظ القرآن في سنِّ العاشرة، تعلَّم رسم المصحف العثماني على ابن خاله ـ وهو محمد بن أحمد بن محمد المختار ـ، كما قرأ عليه التجويد في مقرأ نافع برواية «ورش» من طريق أبي يعقوب الأزرق، و«قالون» من رواية أبي نشيط، وأَخذ عنه سندا بذلك إلى النبي ﷺ، وكان قد بلغ من العمر ستةَ عشرَ عامًا.

كما درس أثناء تلك القراءة بعض المختصرات في الفقه على مذهب الإمام مالك كـ«رجز ابن عاشر»، كما درس الأدب مع شيءٍ من التوسع على زوجة خاله، وأخذ عنها إضافة إلى الأدب مبادئ النحو ـ كالآجرومية وبعض التمرينات ـ.

كل هذا حصَّله في بيت أخواله! وقد أخذ عن غيرهم الفقه المالكي من «مختصر خليل» والنحو من «ألفية ابن مالك» وغيرها، والصرف والأصول والبلاغة وشيئًا من الحديث والتفسير.

لقد حبا اللّهُ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكاءً مفرطًا، وحافظةً نادرةً، وهمةً عليَّة، فسخَّر ذلك كلَّه في تحصيل العلم وجمعه بمختلف فنونه وصنوفه ـ من عقيدة وتفسير وحديث وأصول وعربية ـ.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحفظُ من أشعار العرب وشواهد العربية الآلاف المؤلفة من الأبيات، كما كان يحفظُ أكثر أحاديث «الصحيحين» و«ألفية ابن مالك» و«مراقي السعود» و«ألفية العراقي» وغير ذلك من المنظومات في السيرة النبوية والغزوات والأنساب والمتشابه من ألفاظ القرآن، وشيئًا

من المتون في الفقه نثرًا ورجَزًا»[١].

العلامة ابن ضُوَيَّان[٢]:

هو الشيخ العلَّامة إبراهيمُ بن محمد بن سالم بن ضُوَيَّان، صاحب «منار السَّبيل في شرح الدليل»[٣].

□ جاء في ترجمته: «كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يُمضي أكثرَ وقته للعلم والتعليم، فقد كان يجلسُ بعد صلاة الفجر لتدريس المبتدئين: «الأصولَ الثلاثة» و«آدابَ المشي إلى الصلاة» و«كشف الشُّبهات»، وكلُّها من تأليف الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي الضُّحى يجلس لتدريس النحو، وقد كان الشيخ له اهتمامٌ في اللغة، نَسخ «المعلَّقات السَّبع» وشرحها.

أما بعد صلاة الظُّهر، فقد كان يجلسُ لتدريس بعض المتون المشهورة، كـ«عُمدة الأحكام» و«بلوغ المرام».

وبعد صلاة المغرب يجلسُ لتدريس الحديث وشرحه رَحِمَهُ اللَّهُ»[٤].

العلاَّمة محمد بن صالح العثيمين:

الفقيهُ المتبحِّر المتفنِّن، كان أستاذًا في العربية، متقنًا لها، ويكفي أن تطَّلع على كتابه النفيس «الشرح الممتع في شرح زاد المستقنع»[٥]، لترى

---

(١) مقدمة «أضواء البيان» ـ ط :دار عالم الفوائد.

(٢) ضُوَيَّان: بضم الضاد، وفتح الواو، وتشديد الياء المفتوحة، كذا ضبطت في «منار السبيل» (١/ ١٧ ـ ط: دار طيبة)، وهي أنفس الطبعات.

(٣) «منار السبيل في شرح الدليل»: هو شرح لـ«دليل الطالب لنيل المطالب»، للعلامة مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي.

(٤) مقدمة «منار السبيل» (١/ ١٩ ـ ط: دار طيبة).

(٥) وقد أتمَّت طباعته دار ابن الجوزي بالدمام في ستةَ عشر مجلدًا، والحمد للهِ.

نفائس القواعد اللغوية التي يَبني عليها الكثير من الأحكام.

هذا بجانب شرحه للمقدِّمة «الآجرومية» التي طار ذكرُها في الأقطار، وانتفع بها من شاء اللّه.

والعلَّامة ابنُ عثيمين بهذه الصورة يُعطينا تأكيدًا عمليًّا على أهميّة العربية في حياة طلَّاب العلم، وأنه لابدَّ لهم من الإلمام بقواعدها لتفهُّم العلوم الشرعية المخدومة.

العلاَّمة بكر بن عبدالله أبو زيد:

علَّامةُ الجزيرة في العصر الحاضر، وأحدُ أبرز العلماء الذين دافعوا عن حياض «العربية»، مع التأكيد الدائب على ضرورة إتقانها صيانةً للعلوم الإسلامية من تعدِّيات المستشرقين المتلاعبين بالتراث الإسلامي من ناحية، وعن إهمالها في كتابات بعض الكتاب المسلمين وتفضيل «لغة الجرائد» ـ كما سماها ـ على الفصحى من ناحية أخرى.

وقد اشتُهر العلَّامة بكر أبو زيد بقوَّةِ بيانه وجزالةِ ألفاظه ومتانة عربيته، حتى إنك تُحِسُّ في كتاباته بمتعةٍ جليلة، وتستشعرُ أنفاس السلف ـ أهل العربية الصرفة ـ ، ويكفيك أن تنظرَ في «المجموعة العلمية» لترى صدقَ ما نقول، وكيف لا يكون كذلك، وهو من تلاميذ العلَّامة البارع محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ الذي سبقت إشارة إليه قريبًا ـ .

وقد قدَّمنا بعضًا من كلمات العلَّامة بكر أبو زيد في مَطْلَع هذا الفصل حول حتميةِ الالتزام بالعربية ـ خاصة في بثِّ العلم الشرعي ـ محاضرةً وخطابةً وتأليفًا ـ .

الشيخ شُعيب الأرنؤوط:

المحدِّثُ الكبير، والذي يسَّر اللّهُ على يديه ـ ويدي تلامذته ـ نشرَ

الكثير من كتب التراث التي لم تعرف النورَ من قبلُ.

□ قال الشيخ إبراهيم الكوفحي: «نشأ الشيخ الأرنؤوط في ظلِّ والديه نشأةً دينيةً خالصة، تعلَّم في خلالها مبادئَ الإسلام، وحَفِظ أجزاءً كثيرةً من القرآن الكريم، ولعل الرغبةَ الصادقة في الفهم الدقيق لمعاني القرآن، والإدراكَ العميق لأسراره، من أقوى الأسباب التي جعلته يندفعُ بقوةٍ ونشاطٍ ـ منذ السابعة عشرة من عمره ـ إلى دراسة اللغة العربية، والعناية الفائقة بها.

وكان في هذا الوقت يعتقد أن من عوامل سقوط الدولة العثمانية المتراحبة، هو عدمُ جعل العربية اللغة الرسمية للدولة، إذ لو كانت فعلت ذلك، لتمكَّنت بسهولةٍ من توحيد الشعوب المختلفة الواقعةِ تحت سلطانها، وتمكنت كذلك من إيجادِ طبقةٍ من العلماء المجتهدين القادِرين على أن يمُدُّوا الدولةَ بالحلول المناسبة لجميع معضِلات الحياة، فضلًا عن عدم احتفالها بالنواحي المادية التي من شأنها أن تُكسبها القوةَ والمَنَعة، وتجعلها في مقدمة الأمم.

وقد مكث الشيخ الأرنؤوط في دراسة العربية ما يربو على عشر سنوات، كان يختلف في خلالها إلى مساجد دمشق ومدارسها القديمة، قاصدًا حلقات اللغة في علومها المختلفة، من نحوٍ وصرفٍ وأدبٍ وبلاغة، وما إلى ذلك.

وفي خلال هذه المدة قرأ الشيخ الأرنؤوط ـ على كبار أساتذة العربية في دمشق آنذاك ـ أشهرَ مصنفات اللغة والبلاغة العربية، ومن ذلك ـ على سبيل التمثيل ـ: «شرح ابن عقيل»، و«كافية» ابن الحاجب «بشرح ملَّا جامي»، و«المفصل» للزمخشري، و«شذور الذهب» لابن هشام الأنصاري،

و«أسرار البلاغة»، و«دلائل الإعجاز» لعبدالقاهر الجُرجاني.. وغيرها.

ومن الأساتذة الذين درس العربيةَ عليهم وتلمذ لهم، الشيخ محمد صالح الفرفور، وكان هذا من التلاميذ الملازمين لمحدِّث الديار الشامية في عصره الشيخ محمد بن يوسف المعروف بـ«بدر الدين الحَسَني»، وله فيه كتابٌ نشره منذ سنواتٍ، يتحدث فيه عن حياته الشخصية والعلمية[1]، وكان الشيخ الفرفور في طليعة الذين يعرفون العربية، ويجيدون فهمها، وله شعرٌ رصينٌ، ينمُّ عن أصالةٍ وتمكُّنٍ من ناصية البيان.

ومن هؤلاء الأساتذة أيضًا، الشيخ عارف الدوجي، وكان هذا معيدًا عند الشيخ بدر الدين الحسني، والمعيدُ في ذلك الوقت هو المؤهَّلُ أن يكون أستاذًا فيما بعد، يخلُفُ شيخَه في الحلقة، وأبرزُ ما يتميزُ به هو إلمامُه الواسع بعلوم العربية، ثم إلمامُه بالعلم الذي هو بصدده.

وبعد هذه الرحلة الشاقة في أعماق العربية، والتي أكسبته القدرةَ على الفهم الصحيح، والاستنباط الدقيق، وإبداءِ الحجة والدليل، بفضل ذكائه الحاد، وحافظته القوية، وهمته العالية، أحس الشيخ الأرنؤوط بأنه في مسيس الحاجة إلى دراسة الفقه الإسلامي، فلزم أكثرَ من شيخ، يقرأ عليه كتب الفقه، ولا سيما التي تخصُّ المذهب الحنفي، من مثل: «مراقي الفلاح» للشُرُنبلَّالي، و«الاختيار» للموصلي، و«الكتاب»[2] لأبي الحسن القُدُوري،

---

(١) انظر: محمد صالح الفرفور «المحدث الأكبر وإمام العصر العلامة الزاهد السيد الشريف الشيخ محمد بدر الدين الحسني ـ كما عرفته»، دار الإمام أبي حنيفة، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.

(٢) وهذه الثلاثة الكتب من المتون المعتبرة في الفقه الحنفي، ويطلقون عليها مصطلح «ظاهر الرواية»، وهي مسائل الأصول التي رويت عن أعيان المذهب، وهم: أبو =

وحاشية ابن عابدين، التي تُدعى: «ردَّ المحتار على الدر المختار»، وغيرها»[١].

والأخبارُ والتراجم غير ذلك بالألوف المؤلَّفة، وفيما ذكر كفاية وتذكرة.

ولنختمْ هذا الفصل ببعض الوصايا والكلمات السلفية القيِّمة عن أهميَّة العربية في حياة الأمة المسلمة.

□ كَتب عُمرُ بنُ الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: «أمَّا بعدُ، فتفقَّهوا في السُّنَّة، وتَعلَّمُوا العربيَّة»[٢].

□ وقال أيضًا رضي الله عنه: «تعلَّموا العربيَّة، فإنَّها تَزيدُ في المُروءة»[٣].

□ وقال أيضًا رضي الله عنه: «رحِم اللّهُ امرأً أصلحَ مِن لسانه»[٤].

□ وقال أيضًا رضي الله عنه: «سوءُ اللحن أسوأُ من سُوء الرمي»[٥].

□ وقال المَدائني رحمه الله: «كتب الحُصين بنُ أبي الحُرِّ إلى عُمرَ كتابًا، فلحن في حرفٍ منه، فكتب إليه عمر: أنْ قَنِّعْ كاتبَك سَوطًا»[٦].

□ وقال أيضًا رضي الله عنه: «تعلَّموا النحو كما تتعلمون السننَ والفرائض»[٧].

حنيفة، وأبو يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن الشيباني. انظر: «رسائل ابن عابدين» (١/ ١٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

(١) من رسالة «المحدث شعيب الأرنؤوط» للأستاذ إبراهيم الكوفحي.

(٢) صحيح: رواه ابن عبدالبر في «جامع العلم» (٢/ ١١٢٣ـ ط: دار ابن الجوزي).

(٣) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، للخطيب البغدادي (١/ ١٠ ـ ط: الرسالة)، و«الآداب الشرعية»، للعلَّامة ابن مفلح (٢/ ٣٤ ـ ط: الرسالة)، ونقلها غيرُ واحدٍ عن عمر رضي الله عنهما.

(٤) «بهجة المَجالس»، للإمام ابن عبدالبر (١/ ٦٤).

(٥) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٨٤)، ولهذا الكلام قصة، وراجع تعقُّب مصطفى صادق الرافعي عليه في «تاريخ آداب العرب» (١/ ١٩٧).

(٦) «البيان والتبيين» (١/ ١٨٣).

(٧) «غرر الخصائص» (١/ ٩٠)، و«العقد الفريد» (١/ ١٤٩).

□ وقال عليُّ بنُ مُحمدٍ العَلوِي:

رأيتُ لِسانَ المَرءِ رائدَ عَقلِهِ وعُنوانَه فانظُرْ بماذا يُعَنْونُ
ولا تَعْدُ إصلاحَ اللسان فإنَّهُ يُخبرُ عمَّا عندَه ويُبيِّنُ
ويُعجبُني زِيُّ الفَتَى وجمالُه فيَسقُطُ مِن عيني ساعةَ يَلحَنُ[1]

□ وكان ابنُ عمرَ وعليٌّ وابنُ عباس - رضي الله عنهم - يَضرِبون أولادَهم على اللحن[2].

□ عن عبدالله بن بريدة: «أن معاويةَ بنَ أبي سفيان رضي الله عنه دعا دَغْفل بن حنظلة، فسأله عن العربية، وسأله عن أنساب الناس، فإذا الرجل عالم، فقال: يا دغفل، مِن أين حفظتَ هذا؟ فقال: حفظتُ هذا بقَلبٍ عقول ولسانٍ سؤول، وإن غائلةَ[3] العلمِ النسيان. قال معاوية: فانطلقْ إلى يزيدَ[4]، فعلِّمْه أنسابَ الناس وعلِّمه العربية»[5].

□ وعن بُريدةَ بن الحُصَيب رضي الله عنه قال: «كنَّا نؤمرُ أن نتعلمَ القرآن، ثُم السُّنَّة، ثُم الفرائض، ثُم العربيَّة»[6].

---

(١) «بهجة المَجالس» (١/ ٦٤).

(٢) «الجامع» للخطيب البغدادي (٢/ ١٧)، وانظر: «الأدب المفرد» للإمام البخاري (٣٠٧)، حيث صحَّح الشيخ الألباني الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) **الغائلة**: الشر والمصيبة.

(٤) ولد معاوية رضي الله عنه.

(٥) «الاستيعاب» (١/ ١٣٧) و«أسد الغابة» (١/ ٣٣٦) و«الإصابة» (٢/ ٣٨٩) و«تهذيب الكمال» (٨/ ٤٨٩).

(٦) «الجامع» للخطيب البغدادي (٢/ ١٠).

□ وكان عبدُالمَلِكِ بنُ مَرْوانَ يُحِبُّ ابنَـه «الوليد»، ولا يأمـرُه بالأدب[١]، فخَرَج الوليدُ لحَّانًا[٢]، فقال عبدُالملك: أضرَّ حُبُّنا بالوليد[٣]»[٤].

□ وقال شُعبةُ بن الحجَّاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَثَلُ الذي يتعلمُ الحديثَ ولا يتعلمُ النَّحو، كمثلِ البُرنُسِ لا رأسَ له»[٥].

□ وسَمِعَ المأمونُ مِن أحدِ أولاده لحنًا، فقال له: «ما على أحدِكم أن يتعلمَ العربيَّة، فيُقيمَ بها أَوَدَه[٦]، ويُزيِّنَ بها مَشهـدَه، ويَفُلَّ بها[٧] حُجَجَ خَصمِه بمُسكِتات حِكَمِه[٨]، ويَملِكَ مَجلِسَ سُلطانه بظاهِرِ بيانه[٩]! أَوَ يَسُرُّ أحدَكم أن يكون لسانُه كلسان عبدِه أو أَمَته، فلا يزالُ الدَّهرَ أسيرَ كلمته؟!»[١٠].

□ وقال مُحمَّدُ بنُ سلَام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أحدثَ الناسُ مروءةً أفضلَ مِن

---

(١) أي: بتعلُّمِ الشِّعر والفصاحةِ والبيان.

(٢) أي: كثير الخطأ في العربية.

(٣) أي: دَلَّلناه حتى فسد.

(٤) «تنبيه النائم الغُمْر على مواسم العُمر»، للإمام ابن الجوزي (ص٥١ ـ ط: دار الحديث).

(٥) البُرنس: الثوب الذي يكون رأسُه ملتصقًا به ـ كثياب المطر ونحو ذلك ـ .. قال معناه الإمام أبو عبيد في «غريب الحديث».

(٦) الأَوَد: العِوَج.

(٧) أي: يغلبُ وينتصر. وأصل «الفَلِّ»: الكَسر.. انظر «لسان العرب» للإمام ابن منظور (١٥٩/٥/١ ـ ط: دار صادر).

(٨) أي: إذا تعلَّمتم العربية، استطعتم أن تهزموا خصومكم في المناظرات.

(٩) أي: تكونون أشرفَ مَن في المَجلس.

(١٠) «بهجة المَجالس» (٦٤/١).

طلب النَّحو[١]»[٢].

□ وقال الإمام عبدُاللّه بنُ المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللحنُ في الكلام أقبحُ من آثار الجُدَرِيِّ[٣] في الوجه»[٤].

□ وقال أيضًا: «اللحنُ في الرجل السَّرِيِّ[٥] كالجُدَرِيِّ في الوجه»[٦].

□ وقال عبدُالمَلك بن مروان رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإعراب جمالٌ للوَضِيع، واللحنُ هُجنةٌ بالشَّريف[٧]»[٨].

□ وقال أيضًا: «اللحنُ في الكلام أقبحُ من التفتيق في الثوب النفيس»[٩].

□ وقال الإمامُ المُبرِّد رَحِمَهُ اللَّهُ:

النَّحوُ يُصلِحُ مِن لِسان الأَلْكَنِ[١٠] ... والمَرءُ تُكرِمُهُ إذا لم يَلْحَنِ

والنَّحوُ مِثلُ المِلحِ إنْ ألقيتَه ... في كلِّ ضِدٍّ مِن طعامِك يَحسُنِ

لَحنُ الشريفِ يَحُطُّهُ عن قَدْرِهِ ... وتراه يسقُطُ مِن لِحاظِ الأعيُنِ

---

(١) لا يقصِد على المستوى العام بالطبع، لكن لعله يقصدُ على مستوى الفصاحة والبلاغة، لأن النحو أساس ذلك كله.

(٢) «بهجة المَجالس» (١/ ٦٥).

(٣) الجُدَري: مرضٌ يظهر بصورة قروح.

(٤) «بهجة المَجالس» (١/ ٦٥).

(٥) السَّرِيُّ: الشريف العظيم

(٦) «الجامع» للخطيب (٢/ ١٦).

(٧) الهُجْنة: القُبح والعار.

(٨) «بهجة المَجالس» (١/ ٦٦).

(٩) «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ١٩٧).

(١٠) الألْكَن: العاجز عن الفصاحة.

وترى الدَّنيءَ إذا تكلَّم مُعرِبًا ... نال النَّباهةَ باللسان المُعلِنِ
ما ورَّث الآباءُ فيما ورَّثوا ... أبناءَهم مِثلَ العلوم فأَتقِنِ
وإذا طلبتَ مِنَ العُلومِ أَجلَّها ... فأجَلُّها منها مُقِيمُ الأَلسُنِ[1]

◻ وقال ابنُ شُبْرُمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيتُ لِباسًا على امرئٍ أحسنَ من فصاحة؛ وإنَّ الرَّجلَ ليتكلمُ فيُعرِبُ، فكأنَّ عليه الخَزَّ الأَدْكَنَ[2]، وإنَّ الرجل ليتكلمُ فيَلحَنُ، فكأنَّ عليه أسمالًا[3]. وإذا سَرَّكَ أن تَعظُمَ في عَينِ مَن كنتَ في عينه صغيرًا، ويَصغُرَ في عينيك مَن كان كبيرًا، فتعلمِ العربيَّة[4]»[5].

◻ وقال المُبرِّد رَحِمَهُ اللَّهُ:

النحوُ زَينٌ وجمالٌ يُلتَمَسْ ... يأخُذُ مِن كلِّ العلومِ بالنَّفَسْ[6]

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٥)، و«بهجة المَجالس» (١/ ٦٦)، و«غرر الخصائص» (١/ ٩٠).

* تنبيهٌ هامٌّ: اعتَرض بعض العلماء على الإمام المُبرِّد في قوله «فأجلُّها منها مقيم الألسُن» وقالوا: كان الأولى بالشاعر أن يقول: «فأجلُّها منها مقيمُ الأديْنُ»، ولكنْ تعقَّبَ هذا العلَّامةُ الشيخ بكر أبو زيد قائلًا: «لبعض العلماء تعقيبٌ على كلام المُبرِّد، مِن أن أجل العلوم علمُ «التوحيد»، لكنَّ الجلالةَ هنا نسبيةٌ إلى علوم الآلة، واللهُ أعلم. «حلية طالب العلم» (٢٠٠ ـ ضمن «المَجموعة العلمية»).

(٢) الأدكن: الأخضر القريب من السواد.

(٣) الأسمال: الثياب القديمة.

(٤) «تهذيب الكمال» للحافظ المِزِّي (١٥/ ٨٠)، والجملةُ الأخيرة وردت في «بهجة المَجالس» (١/ ٦٦) هكذا: «وإن أحببتَ أن يصغُرَ في عينيك الكبيرُ، ويكبُرَ في عينيك الصغيرُ فتعلمِ النحوَ».

(٥) انظروا!! هذا في زمان العقلاء وعند أهل الفقه والفضل.

(٦) يُلتَمَس: يطلبه أهل المروءة والهمم العالية.

صاحبُه مُكـرَّمٌ حيثُ جَلَـسْ   هل يَستوي رَبُّ الحِمارِ والفَرَسْ![1]

□ ورأى الإمامُ أبو الأسودِ الدُّؤلي رَحِمَهُ اللَّهُ أَشوِلةً لتُجَّار مكتوبًا عليها «هذا لأبو فُلان»[2]؛ فقال: «سبحانَ اللّه! يَلْحَنون ويربَحون!»[3].

□ وقال بعضُ السلف: «الإعرابُ حِليةُ الكلام»[4].

□ وقال رجلٌ للحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يا أبو سعيد»، فقال له: «شَغَلك كسبُ الدراهمِ عن أن تقول: «يا أبا سعيد»؟! [5]»[6].

□ وقال الشَّعْبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «النحوُ في العلم كالمِلحِ في الطعام، لا يَستغني شيءٌ عنه»[7].

□ وقال الزُّهريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفصاحةُ مِنَ المروءة»[8].

□ وقال سَلْمُ بنُ قُتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنتُ عند ابن هُبيرةَ الأكبر، فجرى الحديثُ، حتى جرى ذِكرُ العربيَّة، فقال: واللّه ما استوى رجُلان، دينُهما واحدٌ، وحَسَبُهُما واحدٌ، ومروءتُهما واحدةٌ، أحدُهما يَلحَنُ والآخرُ لا يَلحَنُ[9].

---

(١) أي: هل يستوي صاحبُ الحمار مع صاحب الفرس؟! والبيتان في «الجامع» للخطيب (٢/ ١٦).

(٢) الصواب: «هذا لأبي فلان».

(٣) «بهجة المَجالس» (١/ ٦٦).

(٤) «عيون الأخبار» للإمام ابن قتيبة (٢/ ١٧٢ ـ ط: دار الكتب العلمية).

(٥) لأن المنادَى المضاف يكون منصوبًا.

(٦) «بهجة المَجالس» (١/ ٦٦).

(٧) «الجامع» (٢/ ١٦)، و«عيون الأخبار» (٢/ ١٧٢).

(٨) «خوارم المروءة» للشيخ مشهور حسن آل سلمان (٣٨).

(٩) أي: لا يستوي رجلان في كلِّ شيءٍ، لكن أحدهما فصيحٌ والآخرُ غير فصيحٍ، إلَّا كان صاحبُ الفصاحة أعلى من الآخر مكانةً.

فقلتُ: أصلحَ اللّهُ الأمير[١]، هذا أفضلُ في الدنيا بفضل فصاحته وعربيَّته؛ أرأيتَ الآخرة، ما بالُه فُضِّل فيها[٢]؟! قال: إنه يقرأُ كتابَ اللّه على ما أَنزل اللّهُ جَلَّ وعلا؛ والذي يَلحَنُ يَحمِلُه لحنُه على أن يُدخِل في كتاب اللّه ﷻ ما ليس فيه، ويُخرِجَ منه ما هو فيه. قلتُ: صَدَق الأميرُ وبَرَّ»[٣].

▫ وقال مَسْلمةُ بنُ عبدالمَلِك رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُروءتان ظاهِرتان: الرِّياسةُ والفَصاحة[٤]»[٥].

▫ وقال مُحَمَّدُ بنُ عبداللّه البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أيُّها الطالبُ فَخْرًا بالنَّسَب	إنَّما الناسُ لأُمٍّ ولأبْ
هل تراهم خُلِقوا من فضةٍ	أو حديدٍ أو نُحاسٍ أو ذَهَبْ؟
أو تَرى فَضْلَهُم في خَلْقِهم!	هل سِوى لحمٍ وعَظمٍ وعَصَبْ؟
إنَّما الفخرُ بحلْمٍ راجحٍ	وبأخلاقٍ كرامٍ وأَدَبْ
ذاك مَن فاخَرَ الناسَ به	فاقَ مَن فاخَرَ منهم وغَلَب[٦]

▫ وقال عبدالرَّحمن بن مَهديٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما نَدِمتُ على شيءٍ كندامتي

---

(١) هذا من دعاء العرب.

(٢) أي: لماذا فُضِّل صاحبُ الفصاحة على الآخر في الآخرة؟!.

(٣) «الجامع» للخطيب (٢/ ١١)، و«روضة العقلاء» (٣٦١)، و«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر (٤٥/ ٣٨٠).

(٤) ولا يسمَّى الفصيحُ فصيحًا إلَّا إذا أخرج الكلام سديدًا غيرَ ملحون.

(٥) «خوارم المروءة» (٤٥).

(٦) «روضة العقلاء» (٣٦٢).

أني لم أنظرْ في العربية»[١].

▢ وقال الإمام الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن تَعلمَ القرآنَ عظُمت قيمتُه، ومَن نَظر في الفِقهِ نَبُل قَدْرُه، ومَن نظر في اللغة رَقَّ طَبْعُه، ومَن نظر في الحساب[٢] جَزُل رأيُه، ومَن كَتب الحديثَ قَوِيَتْ حُجَّتُه، ومَن لم يَصُنْ نفسَه لم يَنفعْه عِلمُه»[٣].

▢ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَولى الناس بالفَضل مَن كان لسانُه لسانَ النَّبي ﷺ»[٤].

▢ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما جَهِل الناسُ ولا اختلفوا، إلَّا لِتَركهم لسانَ العرب ومَيلِهم إلى لسان أرِسْطو»[٥].

▢ وقال: «ينبغي لكلِّ أحدٍ يقدِرُ على تعلُّمِ العربية أن يتعلمَها، لأنه اللسانُ الأَولى بأن يكون مرغوبًا فيه، مِن غير أن يُحرِّمَ على أحدٍ أن ينطِقَ بالعَجَميَّة[٦]».

---

(١) «روضة العقلاء» (٣٦٣)

(٢) يقصد: الجَمع والطرحَ والقِسمةَ والضَّرب وغير ذلك مِما يَحتاجُ إليه العباد في دينهم ودنياهم، ولم يقصد أبدًا حساب النجوم والفلك.

(٣) «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٥١)، ومقدمة «المَجموع» للإمام النووي (١/ ٥٧٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٤)، و«تاريخ دمشق» (١٣/ ٩٥).

(٤) «فضل العربية» للشيخ رسلان (٣٩).

(٥) «ملامح رئيسية للمنهج السلفي» للشيخ علاء بكر (٥٢).

* تنبيه: ذكر الإمامُ الذهبي في «السير» (١٠/ ٧٤) أن هذه حكايةٌ غيرُ صحيحة، معلِّلًا بأن كتب أرسطو لم تكن تُرجمت للعربية. نقلًا عن «تصحيح الدعاء»، للعلَّامة بكر أبو زيد (٤١٤).

(٦) وفق الضوابط التي سبقت، والتي ستأتي في فصل «حكم تعلم اللغات الأعجمية» - إن شاء الله -.

□ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ـ معلِّقًا ـ: «فقد كَرِه الشافعيُّ لمن يعرفُ العربيَّة أن يُسمِّي بغيرها، وأن يتكلمَ بها خالطًا لها بالعجَميَّة، وهذا الذي ذكره قاله الأئمةُ مأثورًا عن الصحابة والتابعين»[1].

□ وقال الإمامُ الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: «على كلِّ مسلم أن يتعلمَ مِن لسان العرب ما بَلغه جَهدُه حتى يَشهدَ به ألَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وأن مُحمَّدًا عبدُه ورسوله، ويتلوَ به كتابَ اللَّه، وينطقَ بالذِّكر فيما افتُرض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح والتشهُّد وغير ذلك؛ وكلَّما ازدادَ من العلمِ باللسان الذي جَعَله اللَّهُ لسانَ مَن خَتَم به نبوَّتَه وأنزل به آخِرَ كُتبه: كان خيرًا له».

□ قال العلَّامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ ـ معلِّقًا على هذا الكلام ـ: «وفي هذا معنًى سياسيٌّ وقوميٌّ جليل، لأنَّ الأُمَّةَ التي نزل بلسانها الكتابُ الكريم، يَجب عليها أن تعمل على نَشرِ دينها ونَشرِ لسانها ونَشرِ عاداتها وآدابها بين الأمم الأخرى وهي تدعوها إلى ما جاء به نبيُّها من الهُدى ودين الحق، لتَجعل من هذه الأمَّةِ الإسلاميةِ أُمَّةً واحدة، دينُها واحد، وقِبلتُها واحدة، ولغتُها واحدة، ومقوِّمات شخصيتها واحدةٌ، لتكون أُمةً وسطًا، ويكونوا شهداءَ على الناس، فمَن أراد أن يدخل في هذه العُصبةِ[2] الإسلاميَّة، فعليه أن يعتقدَ دينَها، ويَتَّبعَ شريعتَها، ويهتديَ بهديها، ويتعلَّمَ لغتَها، ويكون في ذلك كلِّه ـ كما قال الشافعي ـ: تبعًا، لا متبوعًا»[3].

□ ونَقل شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإمام أحمد كراهةَ أن يتعوَّد

(١) «فضل العربية» (٦٣).

(٢) العُصبة: الجماعة.

(٣) «فضل العربية» (٤٢ ـ ٤٤).

الرجلُ الكلام بغير العربية[١].

□ وقال بعضُهم: «المروءةُ: الفَصاحةُ والسَّماحةُ»[٢].

□ وقال الأصمعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثلاثةٌ تَحكُمُ لهم بالمروءة حتى يُعرفوا: رجلٌ رأيتَه راكبًا، أو سَمِعتَه يُعرِب، أو شَمِمتَ منه رائحةً طيِّبةً.

وثلاثةٌ تَحكم عليهم بالدَّناءة حتى يُعرفوا: رجلُ شَمِمتَ منه رائحة نبيذٍ في مَحفَلٍ[٣]، أو سَمعتَه يتكلمُ في مصرٍ عربيٍّ بالفارسية، أو رأيتَه على ظَهرِ الطريق يُنازِعُ في القَدَر»[٤].

□ وقال أيضًا: «تَعلموا النَّحو، فإنَّ بني إسرائيل كفـروا بكلمةٍ واحدةٍ، كانت مُشدَّدةً فخَفَّفوها؛ قال اللّهُ: «يا عيسى، إني وَلَّدتُكَ»[٥]، فقرؤوها: «يا عيسى، إني وَلَدْتُك»، فكفروا»[٦].

□ ورُويت هذه الكلمةُ عن عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بلفظ: «أنفقتُ في الحديث أربعين ألفاً، وفي الأدب ستِّين ألفاً، وليتَ ما أنفقتُه في الحديث أنفقته في الأدب، قيـل لـه: كيف؟! قـال: لأن النصـارى كفـروا بتشديدةٍ واحدةٍ خفَّفوها، قال تعالى: «يا عيسى، إني ولَّدتُك من عذراءَ بتول[٧]».

(١) «فضل العربية» (٥٤ ـ ٥٥).

(٢) «خوارم المروءة» (٤٧).

(٣) لأن هذا يدلُّ على قِلة حيائه من اللّـه تعالى ومن الناس.

(٤) «خوارم المروءة» (١٢٨)، والكلمة الأخيرة «القَدَر» ضبطُها من عندي، إذ قد تكون «القِدْر»، ويكون لها وجهٌ.. واللّهُ أعلم.

(٥) أي: أخرجتُك من بطن أمك.

(٦) «روضة العقلاء» (٣٦٣).

(٧) البتول: المنقطعة للّـه سبحانه.

فقالت النصارى: وَلَدْتُك»..»[١].

□ وقال الكُرَيزِيُّ:

أكرم بذِي أدبٍ أكرِمْ بذِي حَسبٍ فإنَّما العِزُّ في الأحساب والأَدَبِ
والناسُ صِنفان: ذو عقلٍ وذو كمَعدِن الفِضَّةِ البيضاءِ والذَّهبِ
وسائرُ الناس مِن بين الورى هَمَجٌ كانوا مواليَ أو كانوا من العَرَبِ[٢]

□ وقال أبو عليّ الجُبَّائي: «خصَّ اللّهُ تعالى هذه الأُمَّةَ بثلاثٍ، لم يُعطِها مَن قبلها: الإسّناد، والأنساب، والإعراب»[٣].

□ وقال الكُريزي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولم أَرَ فَضلًا تَمَّ إلَّا بشِيمةٍ[٤] ولم أَرَ عَقْلًا صَحَّ إلَّا على أدَبِ
ولم أَرَ في الأعداءِ حين اختبَرْتُهمْ عدوًّا لِعقلِ المرءِ أعدَى منَ الغَضبِ[٥]

□ وقال شعبةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعلَّموا العربية، فإنَّها تَزيدُ في العقل»[٦].

ولْنختم هذا الفصلَ بهذه الكلمات:

□ يقول العلَّامة المُحقِّق أحمد تيمور رَحِمَهُ اللَّهُ متحدثًا عن شَمائل العرب، فيقول: «كانت لغتُهم من أعزِّ الأشياء لديهم، حتَّى إنَّهم كانوا يأنفون من

---

(١) «معجم الأدباء» (١/ ٢).

(٢) «روضة العقلاء» (٣٦١).

(٣) انظر كتابنا: «مبشرات النصر والتمكين» (٣٨٥).

(٤) الشِّيمة: الصفة الحسنة النبيلة.

(٥) «روضة العقلاء» (٣٦٤).

(٦) «تهذيب التهذيب» (٤/ ٣٠٢).

مُخالطةِ غير العرب حِفظًا لهم من العُجمة» انتهى[١].

□ ويقول الأستاذ محمد صادق عنبر: «اللغةُ من الأمة كالقلب من الجسم، كلاهما ألطفُ شيءٍ وأدقُّه، وكلاهما لا تكونُ بدونه الحياة، وما من أمةٍ خَلعت دهرًا لبسته، فخرجت بذلك من ماضيها، وطَفِقت تعملُ لحاضرها وتمهِّدُ لمستقبلها، إلا كانت لغتُها مَعقِدًا لهذه الأطراف الثلاثة من التاريخ، ذلك أن اللغة من مشخِّصات الأمة الناطقة بها، فما فرَّطت أُمةٌ في جانب لغتها إلا كان ذلك إيذانًا بفَدْح مُصابها، أو إيذانًا بوشك ذهابها، بل ليس هذا التفريطُ إلى انقطاعًا من سَلْك التاريخ، وما انقطعت أمةٌ من سَلكه إلَّا جهلته، فكان مثلُها مثلَ الرقيق الذي يألفُ من فقدان حريته أن يجهل حريتَه إذا ملك أمره، فهو إن لم يجد مالكًا يُسخِّره كُرهًا، سخَّر نفسه طوعًا على أن يؤجر بمساك حياته، إذ تكون حريتُه مادةً في معدته، بعد أن كانت معنًى رُوحانيًّا في فطرته.

أجل، إن اللغةَ وُصْلَةٌ بين غابرٍ وحاضر، فإذا ضاعت لغةُ أُمةٍ انقطعت أواصرُ النسب بين السلف والخلَف، وفَقَدت الأمةُ بفقدان لغتها سِجِلَّها الحي، فالتوى لسانُها الناطق، وسكن قلبَها الخافق، وفي بعض ذلك كلُّ الموت.

وأنت، ألست ترى ـ إذا ذهبتَ تُوازِنُ بين أخطار الأمم ـ أن أهونها على الدهر خطرًا هي التي جَهِلتْ لُغتَها، وما لغتُها إلا لسانُ تاريخها، فلم تعُدْ ترتبطُ من الزمان بصِلة، وكان من الهين على من يشاءُ أن يستلحقها، وهان عليها أيضًا أن تلتحقَ بكلِّ تاريخ، كما يَلحقُ الخادمُ بكل مَن

---

(١) «مقالات لكبار كتاب العربية» (١/ ٤٣).

يستخدمه، لا يميِّز بين سيدٍ وسيدٍ إلا بمقدار الأجر الذي يبيعُ به كرامتَه، ويشتري به مهانته.

وهل تُفرِّقُ بين أمةٍ بلي فيها لسانُها، وأمةٍ غابرةٍ بَلِيت عليها أكفانُها ـ وكلتا الأمتين مَيْتة ـ إلَّا بأن الأُولى لم يُشقَّ لها قبر؟!.

ألا إن اللغةَ تَرِكةُ الماضي، وغِنى الحاضر، وميراثُ المستقبل، وهذه الثلاثةُ الأزمنة هي كلُّ أعمار الأمم في التاريخ، فما أرى ـ إذا أضاعت أمةٌ لُغتَها ـ بأي شيءٍ يُشار إليها، وبأيِّ دلالةٍ يُدلُّ عليها؟! ولا أعرف ـ إذا لم تتميز جنسيةُ أمةٍ بلغتها ـ أيَّ حدٍّ يَفصلُ بينها وبين غيرها من الأمم؟!.

ولقد علِمنا أن لكل أمةٍ شاهدًا من لغتها على ما فُطرت عليه من دين، ودُوِّن لها من تاريخ، وعُرف عنها من نسبٍ ومدنيَّةٍ وفنون، ففقدانُ أُمةٍ لهذه الثروة المعنوية اعترافٌ منها بسفاهتها، وبأنها في حاجةٍ إلى القوَّام.

ولقد أراق الكُتَّابُ كثيرًا من المِداد في بيان أن اللغة هي الأساسُ الذي يُقام عليه بنيانُ الوحدة في كل جنس، وأنها في الصِّلةِ الحسيةِ بين المتكلِّمين بها أفرادًا، وصورةُ الحياة الاجتماعية عندهم تركيبًا، وكفى في الدلالة على ما بين اللغة والأمة من علاقةٍ وثيقة: أنك لا تجدُ أُمةً في مكانٍ من العزة مَكينٍ، إلا حيثُ تجدُ لُغةَ أهلها قائمةَ السلطان على الألسنة، ولا تجدُ لغةً عُرضةً لغائلةِ الحوادث إلا حيث تجدُ أُمةً عُرضةً لعَوادي المقادير.

ألا إن اللسان ـ من حيث هو مضغةٌ ـ مرآةٌ للصحة، ومن حيث هو لغةٌ مرآةٌ للأمة، فأخلِقْ بأُمةٍ ـ تُسلِّمُ لغتها للفناء ـ أن نقرأ عليها منذ الآن قصائدَ التأبين والرثاء» انتهى[١].

---

(١) «مقالات لكبار كتاب العربية» لمحمد بن إبراهيم الحمد (٣/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤).

نسألُ الله تعالى أن يُعينَنا على صيانة لغةِ الكتاب والسنة، إنه أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين[1].

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥) صاحب «مجمل اللغة» و«معجم مقاييس اللغة»:

□ قال الثعالبي عنه: «أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم كان بهمذان. من أعيان العلم وأفذاذ الدهر، يجمع إتقان العلماء، وظُرف الكُتَّاب والشعراء. وهو بالجبل كابن لنكك بالعراق، وابن خالويه بالشام، وابن العلاف بفارس، وأبي بكر الخوارزمي بخراسان»[2].

□ يقول عنه العلَّامة المحقِّق المدقِّق عبد السلام محمد هارون: «عُرِف ابن فارس بمعرفته الواسعة باللُّغة. وكتابه «المجمل» في اللغة لا يَقِلُّ كثيرًا في الشهرة عن كتاب «العين» و«الجمهرة» و«الصحاح». وقد عُرِف رَحِمَهُ اللهُ بالتزامه إيراد الصحيح من اللُّغات».

قال السيوطي - بعد أن سرد طائفة من كُتب اللغة المشهورة-: «وكان في عصر صاحب الصِّحاح ابن فارس، فالتزم أن يذكر في مجمله الصحيح»[3].

وقد بلغ من حُبِّه للّغة وعشقه لها، أن ألَّف فيها ضروبًا من التأليف، وكان يستحث عزيمة معاصريه من الفقهاء أن ينهضوا بتعرُّف اللغة

---

(١) « هذا الفصل مستفادٌ من كتاب: «منزلة اللسان العربي، ودوره الهام في سيادة الأمة»، كتبه: أبو شُعيب طارق بن عبدالواحد بن علي ـ عفا اللّهُ عنه ـ.

(٢) «يتيمة الدهر» (٣/ ٢١٤) للثعالبي.

(٣) «المزهر» للسيوطي (١/ ٩٧).

والتبحُّر فيها، وألَّف لها فَنًّا من الإلغاز سمَّاه «فُتيا فقيه العرب»، يضع لهم مسائل الفقه ونحوها في معرض اللغة، ولعلَّ الإمام الشافعي أوَّل من عُرِف بهذا الضَّرب من المُعاياة اللغوية الفقهية.

□ على أن ابن فارس في كتابه «معجم مقاييس اللغة» قد بلغ الغاية في الحذق باللغة، وتكنُّه أسرارِها، وفَهْم أصولِها؛ إذْ يردُّ مفردات كلِّ مادة من موادِّ اللُّغة إلى أصولها المعنوية المشتركة فلا يكاد يخطئه التوفيق. وقد انفرد من بين اللُّغويين بهذا التأليف لم يَسبقه أحدٌ ولم يخلُفْه أحَد. وأرى أن صاحب الفضل في الإيحاء إليه بهذه الفكرة العبقرية هو الإمام الجليل أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد.. فحاول أن يقوم بمَا عجز عنه ابن دريد أو نكص عنه، فألَّف كتابه «المقاييس» يطْرُد فيه قاعدة الاشتقاق فيمَا صحَّ لديْه من كلام العرب.

□ وابن فارس يُعَدُّ في طليعة العلماء الذين أخذوا من كُلِّ فنٍّ بسهم وافر، ولم يقف بنفسه عند حدِّ المعرفة والتعليم، بل اقتحم ميدان التأليف المُوَفَّق، فهو يذهب فيه إلى مدًى متطاول. ويحتفظ التاريخ له بهذه المؤلَّفات العديدة القيِّمة»:

(١) الاتباع والمزاوجة. (٢) اختلاف النحويين. (٣) الإفراد. (٤) أمثلة الأسجاع. (٥) الانتصار لثعلب. (٦) تمام فصيح الكلام. (٧) دارات العرب. (٨) الصاحبي وهو الاسم الذي شهر به كتابه «فقه اللغة». (٩) الفريدة والخريدة. (١٠) اللامات. (١١) مختصر في المؤنث والمذكَّر. (١٢) مقالة كَلَّا وما جاء منها في كتاب الله»[١].

---

(١) مقدمة الأستاذ عبد السلام هارون «لمقاييس اللغة» (ص٣- ٣٧) مُلَخَّصة. طبع

الإمام عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠-١٠٩٣هـ) «صاحب خزانة الأدب» و«لبِّ لباب لسان العرب»:

□ قال عنه الشيخ محمود محمد شاكر في رسالته القيّمة «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا»: «هبّ من جوف الغفوة الغامرة أشتاتٌ من رجال أيقظتهم هَدَّة هذا التقوّض[1] فانبعثوا يحاولون إيقاظ الجماهير المستغرقة في غفوتها.. رجال عظام أحسوا بالخَطر المُبْهَم المُحْدِق بأمَّتهم، فهبُّوا بلا تباطؤ بينهم. كانوا رجالًا أيقاظًا مُفَرَّقين في جَنبَاتِ أرضٍ مترامية الأطراف، متباعدةٌ أوطانهم، لا يجمعهم إلَّا هذا الذي توجَّسوه في قرارة أنفسهم مبهما من خطر مُحدق. أحَسُّوا الخطر فراموا إصلاح الخَلَل الواقع في حياة دار الإسلام: خَلَل «اللُّغة» و«خلل العقيدة» و«خلل علوم الدين» و«خلل علوم الحضارة». وبأناة وصبْر عَمِلُوا وألَّفُوا وعَلَّموا تلاميذهم. وبهمّةٍ وجدٍّ أرادوا أن يُدْخلوا الأمّة في «عصر النهضة»، نهضةِ دار الإسلام من الوَسَن والنَّوْم والجهالةِ والغفلة عن إرث أسلافهم العظام. من هؤلاء خمسة من الأعلام أذكرهم هنا مجرَّد ذكر باختصار.

١- البغدادي، عبد القاهر بن عمر، صاحب «خزانة الأدب» (١٠٣٠-١٠٩٣هـ/ ١٦٢٠-١٦٨٣م) في مصر.

٢- «الجبرتي الكبير» حسن بن إبراهيم الجبرتي العقيلي في مصر.

٣- ابن عبد الوهاب.. محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي.

دار الجبل.

(١) مناصبة أوروبا العداء للخلافة العثمانية ومحاولة تقويض أركانها.

٤ - «المرتَضَى الزبيدي»، محمد بن عبد الرزاق الحسيني، صاحب «تاج العروس» (١١٤٥-١٢٠٥هـ/ ١٧٧٢-١٧٩٠) في الهند وفي مصر.

٥ - الشوكاني: محمد بن علي الخَوْلاني الزيدي في اليمن.

البغدادي:

هبَّ البغدادي في منتصف القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)، فألَّف ما أَلَّف ليردّ على الأمة قدرتها على «التذوّق»، تذوّقِ اللُّغة والشعر والأدب وعلوم العربية..

وهب «المرتضى الزبيدي» يبعث التُّراث اللُّغوي والديني وعلوم العربيَّة وعلوم الإسلام، ويُحيي ما كاد يَخفَى على الناس بمؤلفاته ومجالسه»[1].

و«خزانة الأدب» شرح لشواهد «الرضي» على الكافية، التي بلغت ٩٥٧ شاهدًا من شواهد العربيّة. وفيها يقول المولى محمد المحبي [2]: «وأَلَّف المؤلفات الفائقة، منها شرح شواهد شرح الكافية للرضى الأستراباذي في ثماني مجلَّدات، جمع فيه علوم الأدب واللغة بأسرها إلَّا القليل، ملكْتُه بالروم وانتفعت به، ونقلت منه في مجاميع لي نفائس أبحاثٍ يعزُّ وجودها في غيره». و«خزانة الأدب» -وهو الذي خَلَّد اسم البغدادي - يُعَدُّ أعلى موسوعة في علوم العربية وآدابها. شَحَنَه بالنصوص النادرة، وحفظ لنا بقايا من كُتُب قد فُقدَتْ أو اندثرت، مع عناية حازمة

(١) «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» للشيخ محمود محمد شاكر (ص٨٣، ٨٤).
(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٥٢).

بالنَّقد والتحقيق لكلِّ ما يُورِده من ذلك.

هذا إلى سرده لكثير من أمثال العرب، وبيان معانيها ومضاربها وأصولها، وحشده للغات القبائل ولهجاتها، وحرصه على إيراد قصائد الأبيات التي تعرَّض لها، مع شرح الكثير منها شرحًا مُحَقَّقًا مع العناية الكاملة بالمقصد الأول لشرحِ الشواهد، وهو تحقيق المسائل النحوية واستيعاب دراستها، مع الاعتماد على أمهات النحو ومُطَوَّلاته، ومراجع شروح الشواهد، في علاج علميّ نقدي.

علامة العراق الشيخ أبو المعالي محمود شكري الألوسي (١٢٧٣-١٣٤٣هـ/ ١٨٥٦-١٩٢٤م):

□ قال عنه تلميذه العلَّامة محمد بهجة الأثري: «العلَّامة السيد محمود شكري الألوسي رُكْنٌ من أرْكان النهضة، فذٌّ، متعَدِّد الجوانب.. جَرَّ عَواليه، وأجْرَى سوابقه في نواحي مختلفة من ميادين المعرفة والإصلاح والجهاد، وكان الفارس المُجلِّي في العلوم النقلية والعقلية، وإمامًا في الدين واللغة والأدب والتاريخ، جَمَع إلى الذاكرة الجامعة والتطبيق الجلد الصبور عُمْقَ التفكير واستقلاله وجراءته، وامتاز بالتحرُّرِ وحرارة الإيمان مع سُمُوِّ الذات»[(١)].

وهو من أوائل علماء الأمة الذين أعملوا أقلامهم في إحياء مقومات الأمة ومشخِّصاتها الأصيلة من دين وأدب ولغة وتاريخ وحضارة.

□ وكان رَحِمَهُ اللَّهُ شديد الثبات، جلدًا على البحث والتنقيب والنسخ

---

(١) محمود شكري الألوسي سيرته ودراساته اللغوية - لمحمد بهجة الأثري (ص٣)- طبع مركز المخطوطات والتراث- الكويت.

والمطالعة، لا تعرف همَّتُه الملل ولا الكسل.. إذا استحسن كتابًا عاود مطالعته ولو كان مجلَّدات، وهذا ما صنع بلسان العرب لابن منظور. بل ألف في شهر واحد كتابًا في سبعين كراسة بياضًا من دون تسويد..

قد كنتَ للعلم في أوطاننا جبلًا ... إذا تقسَّم فيها كان أجبالا

وبحرَ علم إذا جاشت غواربه ... نغّصت بالحزن شهر العيد شوّالا

□ ورحم الله مفتي البصرة أحمد بن عبد الحميد الشاوي حيث يقول في شكري:

وما إنْ رأى إنسانُ عيني واحدًا ... كما شئت إنسانًا يُعَدُّ سوى شكري

فقل لغَبِيٍّ قاسَهُ بسوائه ... ولم يَعْرِف التِّبر المُصَفَّى من الصُّفر

عداك الحجَى أين الثُّرَيَّا من الثرى ... وأين حصى الحصباء مِن دُررِ

وفّقه الله لتأليف عدَّة كتب ورسائل، تتجاوز خمسين مؤلفًا ما بين مختصر ومطَوَّل [1].

أَلَّف رَحِمَهُ اللهُ كتابه القيِّم «غاية الأماني في الرَّدِّ على النبهاني» في شهر الصيام [2].

□ قال عنه الشيخ محمد رشيد رضا في «مجلة المنار»: «عالم العراق، ورحلة أهل الآفاق، ناصر السُّنَّة، قامع البدعة، محيي هَدْي السَّلَف، حافظ فنون الخَلَف، علَّامة المنقول، ودرّاكة المعقول، دائرة المعارف الإسلامية، نبْراس الأمة العربية». وقال فيه: «كان إمامًا يُقتدَى به في عِلمه

(١) المصدر السابق (ص «ط»).

(٢) بالتدقيق: في أربعين يومًا.

وعمله، وهَدْيه وآدابه وفضائله، وقف جميع حياته على علوم الإسلام وفنون اللغة العربية في هذا العصر الذي قلّ فيه الاشتغال بالعلم والأدب في تلك البلاد بين أهل السُّنَّة وكاد ينحصر في الشيعة».

إلى أن قال: «فلم نسمع للعلوم العربيَّة والدينية على مذهب السُّنَّة صوتًا إلَّا من هذا الرَّجُل؛ لهذا لقَّبْناه في مكتوباتنا له بعالِم العراق»(١).

□ كانت ببغداد لعهده ثماني خزائن كتب عامة في مساجدها حافلة بنوادر المخطوطات، فنفضها نفضًا، ونسخ الكثير منها، وعلّق الفوائد والفرائد، ثم تجاوز جهده في ذلك إلى خزائن كتب دمشق والقاهرة والمدينة ونجد وإسلامبول وغيرها(٢).

□ أَلَّف كتابه الكبير «بلوغ الأرب في أحوال العرب» في الثلاثين من عمره، ونال هذا الكتاب جائزة الملك «أسكار الثاني» ملك السويد والنرويج، وهو فوز سجّل به الألوسي الشاب مظهرًا جديرًا للعبقرية العربية كسب إعجاب الغربيين(٣)، وكتب إليه الكونت كرلودي لندبرج نائبًا عن لجنة المسابقة».. فنحن نشكر السيد على هذه الهمة المحمودة، والغيرة العِلمية المشهودة، فلا شك أنه أجهد نفسه في البحث والتِّنْقاب، حتى استخلص من بين تلك القشور ذلك اللباب، فهكذا تكون الهمم، ولمثل ذلك فليعمد رجال الحِكَم»(٤).

---

(١) المصدر السابق (ص٥٩).

(٢) المصدر السابق (ص٥٨).

(٣) المصدر السابق (ص٦٤).

(٤) المصدر السابق (٧١).

□ وله رَحِمَهُ اللَّهُ الدراسات اللغويَّة العميقة التي تصف لنا عبقرية اللغة العربيَّة، وتكشف عن طاقاتها الحيّة.

وعكف رَحِمَهُ اللَّهُ على كتب اللغة العربية وتملّي بدائعها وروائعها، ويتفقّه في أسرارها، ويتعمّق في فلسفتها، وصبر واستشعر اللذّة كل اللَّذَّةِ في هذا الصبر على قراءة أعظم مُطوَّلات المعاجم مرَّةً بعد مَرَّة، كـ «لسان العرب» الذي قرأه ثلاث مرات من أوّله إلى آخره بالترتيب قراءة تدبُّر وتأمُّل وإمعان نظر، لتتمثّل في ذهنه هيئات المفرَدات، ويتعمّق حسه اللُّغوي، ولعلَّه من أيسر ما قرأ واستوعب في عمره المدبد.

ومن بيِّناته كذلك دُءُوبُهُ على تدريسها، وتفقيه الناس بها، وتخريج الطُّلَّاب الذين يخلفونه على خدمتها.. في مدى خمسين عامًا وزيادة، في طرفي النهار وزُلَفٍ من الليل، لم يدركه فيها وناءٌ ولا مَلَل، وقد كان أثره في تنشئة طُلَّابه على الحفاظ على اللغة العربية يُشاكل أثره في بحوثه، بل يزيدُ عليه؛ فإنه أنفق في هذا من الوقت ومن المجهودِ أضعاف ما أنفقه في البحث والتأليف.

□ وكان من شدة هذا العشق عنده للغة يتهلَّلُ مُحَيَّاه بِشْرًا حين يُطلِعُ تلاميذه على سِرٍّ من أسرارها، أو يُفقههم مسألة من مسائلها الحيوية التي تكشف عن طاقاتها وعن قدرتها على مسايرة الحياة.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يكلَفُ بشيء كَلَفه بهذه اللغة، ولا ينظر إليها إلَّا ولسانُ حاله يقول مع ذي الرُّمَّة.

وإني متى أُشرفْ على الجانبِ ... به أنتِ مِن بينِ الجوانب ناظِرُ

□ يقول: «لقد سمعتُ بعض من لا خَلاقَ له من الناس يدَّعي «أن

لغات الإفرنج اليوم أوسعُ من لغة العرب، بناءً على ما حدث فيها من ألفاظ وضعوها لِمَعانٍ لم تكن في القرون الخالية والأزمنة الماضية، فضلًا عن أن تعرفه العرب فتفوه به، أو تتخيّله فتنطق به»[1].

ثم يقول: «ولا يخفى عليك أن هذا كلامٌ يُشعر بعدم وقوف قائله على منشأ السَّعة، وأنه لم يَخُضْ بحار فنون اللغة حتى يعلم أن المزيّة من أين حصلت».

ولقد أبحر الألوسي في علوم اللغة وأتى بالأعاجيب في علم«الاشتقاق»، و«الترادف»، و«النحت» و«التضمين» و«ما يصح به الاستشهاد في اللغة» و«فنّ الوضع».

فرحم الله هذا الإمام الفذّ، وأجزل له المثوبة في فردوسه، ومتَّعَه بالنظر إلى وجهه.

شيخ الباحثين الرئيس محمد كُرد علي (١٢٩٣-١٣٧٢):

مؤسس أول مجمع عربي وهو «المجمع العلمي العربي بدمشق «مجمع اللغة العربية» عام ١٩٢٠.

□ وكان له دور كبير وعظيم في إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إذ أنه قدّم للملك فؤاد الأول في لقاء بينهمَا عام ١٩٢٦ تجربة دمشق في إنشاء المجمع، فكان بذلك ممن مهّدوا لإنشاء المجمع بالقاهرة ١٩٣٤ واختير من أعضائه، وقضى في مجمع اللغة بالقاهرة نحو عشرين عامًا.

□ وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ موسوعيًّا بأشمل ما تعنيه الموسوعية من معنى، تنوّعًا

---

(١) «بلوغ الأرب» (١/ ٤٤).

في المعرفة، ووفرة في الإنتاج، وبلوغًا بهمَا الحدّ الذي تقع دونه همم الموسوعيين، ولكن الموسوعية عنده لم تتحيّف الموضوعية التي يُطالب بها العصر الحديث، ولا التخصص الذي لا بد منه.

ولقد توارد على صعيد دراساته كثير من المحدثين المتخصصين في الدراسات الأدبية أو التاريخية أو الإسلامية، فمَا وجدوه واقفًا من تلك القضايا بعيدًا عمَا وقفوا، بل لم يجدوا فيمَا انتهوا إليه بالتخصص والموضوعية كثير فرق عمَا انتهى إليه بالشمولية والموسوعية[١].

محمد كرد علي المُحقّق الثَّبْتْ ومطالعته للمخطوطات:

لقد نبش محمد كرد علي المخطوطات من مدافنها ولخّصها.

ومن أعظم ما كتب «خطط الشام»، وإذا رجعنا إلى مقدمته نكادُ أن نضيع في هذه المصادر التي عوّل عليها في تأليف كتابه.

ومن كتبه القيمّة التي أَثْرَت اللغة كتابه «أمراء البيان» الذي اختار فيه عشرة مبشرة بالبلاغة في عصر العرب الزاهر، اختارهم من عيون الكتابة في البيان العربي على ذوْقٍ رفيع وعلم عميق، وتجربة مثاليّة، فتناول بالدراسة عبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، وسهل بن هارون، وعمرو ابن مسعدة، والجاحظ، والتوحيدي، وابن العميد.

---

(١) «شيخ الباحثين الرئيس محمد كرد علي» (ص٨، ٩، ١٠) لمحمد بن إبراهيم الشيباني – مركز المخطوطات والوثائق- الكويت.

شيخ العروبة وحامل لوائها فارس التراث أبو فهر الشيخ محمود محمد شاكر (١٣٢٧هـ - ١٤١٨هـ) = ١٩٠٩-١٩٩٧م:

الفارس الأخير الذي سقط تحت «راية القرآن» وفي حومة الدفاع عن مقومات هذه الأمة وأصالتها وقرآنها وفُصحاها وتراثها وهويتها الإسلامية، التي ضاعت الأمة بعد أن أضاعتها.

□ لله دَرُّ أبي فهر الحاصل على جائزة الملك فيصل في الأدب العربي، ولقد كان شيخ العربية الشيخ محمود شاكر صاحب منهج يقوم على العودة إلى التراث، وعلى التمسك بلغة القرآن وأدب العربية الأصيل، في شعره الجاهلي وما بعد الجاهلي، ليكون من ذلك كله درع تصدّ عن الأمة تيار التغريب الجارف الذي ضيّع هوية الأمة بالتقليد الأعمى لكل ما لدى الغرب، وأقام الشيخ لمنهجه المعالم والصوى.

□ وكان للشيخ فرادة في مجالات عديدة أجاد فيها، سواء في مجال التحقيق الذي كان صاحب منهج منفرد فيه، أم في مجال الدراسات الأدبية والفكرية، أم في مجال الإبداع الذي بلغ ذروة العطاء في ملحمة «القوس العذراء» التي قال فيها الناقد الكبير الدكتور إحسان عباس: «لا ريب عندي في أن الشعر الحديث قد ضل كثيرًا حين لم يهتد إلى (القوس العذراء) وأن الناقد الحديث كان يعشو إلى أضواء خادعة حين انقاد وراء التأثر بشعر أجنبي ورموز غريبة، ولم يستطع أن يكتشف أدواته في التراث كما فعلت القوس العذراء»[1].

□ انقطع عن الكتابة في الصحف والمجلات، بعد إغلاق «الرسالة»

---

(١) «مجلة الأدب الإسلامي»- العدد السادس عشر (ص١).

القديمة في سنة ١٩٥٢م، وتفرغ للعمل بالتأليف والتحقيق ونشر النصوص، فأخرج جملة من أمهات الكتب العربية مثل: «تفسير الإمام الطبري» (ستة عشر جزءًا)، و«طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحي، و«جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار، وشارك في إخراج «الوحشيات» لأبي تمام، و«شرح أشعار الهذليين».

□ ونشر في عام ١٩٥٢م قصيدته «القوس العذراء» التي تعد معلمًا على طريق الشعر الحديث رغم التزامها بحرًا متساوي الشطرين ومحافظتها على وحدة القافية، ثم أعاد نشرها مرة ثانية في سنة ١٩٦٤م.

□ كما ألف كتابه الشهير «أباطيل وأسمار»، وهو مجموعة مقالات (٢٥ مقالة) كتبها في مجلة الرسالة الجديدة، ثم طبعت مرتين، المرة الأولى سنة ١٩٦٥م وصدر مجلد واحد (فيه قسم من المقالات) وصودر المجلد الثاني، والمرة الثانية، سنة ١٩٧٢م في مجلدين ضمَّا جميع المقالات.

□ وكان سبب كتابة هذه المقالات التعليق على ما نشره الدكتور لويس عوض، المستشار الثقافي لجريدة الأهرام القاهرية حينذاك، في جريدة الأهرام بعنوان «على هامش الغفران» وذهب فيمَا نشره إلى تأثر المعري بحديث الإسراء والمعراج، كمَا ألمح فيه إلى أثر الأساطير اليونانية وغيرها في الحديث النبوي، مما دفع الأستاذ محمود شاكر إلى بيان تهافت كلام لويس عوض وجهله وافترائه، ثم انتقل إلى الكلام عن الثقافة والفكر في العالم العربي والإسلامي وما طرأ عليهمَا من غزو فكري غربي ولا سيمَا حركة التبشير التي غزت العالم العربي والإسلامي، وما تنطوي عليه هذه الحركة من أساليب ووسائل، وقاده البحث إلى تناول قضايا هامة بحيث يعد تاب «أباطيل وأسمَار» من أهم كتبه، بل من أهم

الكتب التي ظهرت في المكتبة العربية في العشرين عامًا الأخيرة.

□ وأعاد طبع كتابه الإمام عن «المتنبي» الذي نشر كعدد مستقل من المقتطف سنة ١٩٣٦م، وقد أثار الكتاب ضجة كبيرة حين صدوره بمنهجه المبتكر وأسلوبه في البحث والإبداع، ومقدمته التي عنوانها: «لمحة من فساد حياتنا الأدبية» التي تناولت بكل صراحة ما اعترى الحياة الأدبية في النصف الأول من هذا القرن من فساد، وما أصاب أجيال المثقفين من تفريغ، تولى كِبْرَه واضع نظم التعليم في مصر، المبشِّر «دنلوب» الذي سيطر سيطرة تامة على التعليم، والذي لا تزال آثاره باقية على أشنع صورة في نظمنا التعليمية.

□ في الفترة التي صاحبت انتقاله إلى مسكنه في شارع السباق ثم إلى مسكنه في شارع حسين المرصفي بضاحية مصر الجديدة، بدأت أجيال من دارسي التراث العربي والمعنيين بالثقافة الإسلامية، من كافة أرجاء العالم الإسلامي، يختلفون إلى بيته، ويترددون على مجالسه العلمية يأخذون عنه ويفيدون من علمه ومكتبته الحافلة التي يسرها للدارسين والباحثين ومنهم: الدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور إحسان عباس، والدكتور شاكر الفحام، والأستاذ أحمد راتب النفاخ، والدكتور محمد يوسف نجم.

□ في سنة ١٩٥٧م أسس – مع الدكتور محمد رشاد سالم والأستاذ إسماعيل عبيد – مكتبة دار العروبة، لنشر كنوز الشعر العربي ونوادر التراث، وكتب بعض المفكرين، وباعتقاله هو وشريكيه في ٣١ أغسطس ١٩٦٥م تم وضعها تحت الحراسة.

□ شارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات العربية فحضر «مؤتمر

الأدباء العرب» في بغداد سنة ١٩٧٠م، ودعي إلى حضور الدروس الرمضانية التي تعقد في ليالي رمضان في القصر الملكي بالرباط بالمملكة المغربية (رمضان ١٣٩٥هـ).

□ كذلك لبى دعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وألقى سلسلة من المحاضرات عن «الشعر الجاهلي» ستصدر في كتاب بعنوان «قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي».

□ كرمته الدولة فأهدته «جائزة الدولة التقديرية في الآداب» عن عام ١٩٨١م تقديرًا لجهوده وإسهاماته المتعددة في خدمة تراث الإسلام ودرايته الواسعة بعلوم العربية، ومكانته المتميزة في تاريخ الفكر الإسلامي.

وتسلم الجائزة في احتفال أقيم مساء يوم الثلاثاء ٨ رمضان ١٤٠٢هـ/ ٢٩يونيو ١٩٨٢م.

□ وعلى المستوى العربي نال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي، وتسلم الجائزة في احتفال بحضور الملك فهد بن عبد العزيز في الرياض في ٢٤ جمادي الأول سنة ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٥ فبراير ١٩٨٤م.

□ انتخب عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٢م.

□ عضو المجلس الاستشاري لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (١٩٩١-١٩٩٧م).

□ عضو مجلس إدارة دار الكتب والوثائق القومية (١٩٩٤-١٩٩٧م).

□ انتقل إلى جوار ربه تعالى مساء يوم الخميس ٣ ربيع الآخر ١٤١٨هـ الموافق ٧ أغسطس ١٩٩٧م.

ثانيًا: آثاره:

أ- مؤلفاته.

١- المتنبي.

- عدد خاص من المقتطف عام ١٩٣٦م.
- ط ثانية في مجلدين القاهرة ١٩٧٧م.
- ط ثالثة مطبعة المدني – القاهرة – دار المدني بجدة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢- القوس العذراء.

- نشرت أول مرة في مجلة الكتاب ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- مكتبة دار العروبة – القاهرة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
- مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

٣- أباطيل وأسمـار.

- الجزء الأول مكتبة دار العروبة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- الجزءان الأول والثاني مطبعة المدني – القاهرة ١٩٧٢م.

٤- برنامج طبقات فحول الشعراء.

مطبعة المدني القاهرة ١٩٨٠م.

٥- نمط صعب ونمط مخيف.

دار المدني – جدة ١٩٩٦م.

[وهو سبع مقالات نشرت في مجلة «المجلة» عام ١٩٦٩، ١٩٧٠م].

٦- قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام.

- دار المدني – جدة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧- رسالة «في الطريق إلى ثقافتنا».

صُدِّر بها كتابُ المتنبي في طبعته الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ثم صدرت في كتاب مستقل في سلسلة كتاب الهلال بالقاهرة.

ب- تحقيقاته.

١ - فضل العطاء على العسر لأبي هلال العسكري المطبعة السلفية – القاهرة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

٢ - إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين المقريزي.

- لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٤٠م.

٣ - المكافاة وحسن العقبى لأحمد بن يوسف بن الداية الكاتب.

- المكتبة التجارية ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

٤ - طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي.

- دار المعارف ط أولى ١٩٥٢م – ط ثانية ١٩٧٤م.

٥ - تفسير الطبري.

- الأول والثاني – دار المعارف ١٩٥٤م.

- الثالث والرابع - دار المعارف ١٩٥٥م.

- السادس والسابع والثامن - دار المعارف ١٩٥٦م.

- من التاسع إلى الثاني عشر - دار المعارف ١٩٥٧م.

- الثالث عشر والرابع عشر - دار المعارف ١٩٥٨م.

- الخامس عشر - دار المعارف ١٩٦٩م.

- السادس عشر - دار المعارف ١٩٦٩م.

٦- جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار.

- جـ١ مكتبة دار العروبة ١٣٨١ هـ السفر الأول.

٧- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار للطبري.

مسند علي بن أبي طالب - مسند عبد الله بن عباس - السفر الأول.

- منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- مسند عبد الله بن عباس - السفر الثاني.

- مسند عمر بن الخطاب.

- منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

٨- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

- مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٨٩م.

٩- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني.

- دارالمدني - جدة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م[١].

□ قال عنه تلميذه عبد القدوس أبو صالح رئيس تحرير مجلة الأدب

---

(١) استعنا في سيرة حياته وآثاره بالكتيب الذي صدر عن: الهيئة العامة لدار الكتب القومية والمجلس الأعلى للثقافة في ١٥/٩/١٩٩٧م.

الإسلامي ورئيس رابطة الأدب [(١)]: «لم تكن ذاكرة الشيخ الفريدة، ولا اطلاعه الواسع الشامل، هما اللذان أوصلا الشيخ محمود شاكر إلى أن يكون شيخ العربية دون منازع، وإن أعانا على بلوغه تلك المنزلة العالية، ولكن الذي بوأه مكانته طول معايشته للتراث، وطول تأمله فيه، حتى خالط لحمه ودمه، وحتى ألقى عليه مقاليده وأسراره، فكان كما شهدت وشهد الكثيرون أفرس الناس ببيت الشعر، وكان صاحب أسلوب كالبنيان المرصوص، وكان أن ندب نفسه ليكون سادنًا للغة القرآن، وحاميًا لتراث الأمة ونذيرًا لها من هجمة التغريب الشرسة.

وكان الشيخ محمود شاكر يَعُدُّ تقصير المحققين للتراث خيانة سافرة لهذا التراث، وكان منهجه يقوم على استفراغ الجهد في التحقيق، بكل ما يقتضيه منهج التحقيق العلمي.

ودليل على تبحره في اللغة ما نجده في «فهارس طبقات فحول الشعراء، إذ نجد فهرسًا عجيبًا بعنوان: «ألفاظ من اللغة، أخلّت بها المعاجم أو قصرت في بيانها»، وقد جاء هذا الفهرس العجيب في أربع صفحات ونصف الصفحة، وما كان الشيخ محمود شاكر ليضع لفظة واحدة في هذا الفهرس الكبير الذي استظهره من تحقيقه لكتاب واحد، لولا أنه استعرض كتب اللغة ومعجماتها، ثم وضع نفسه ندًّا لأئمة اللغة الذين ألفوها، ومضى يستدرك ما أخلوا به أو قصروا في بيانه.

وهو بحق فارس التراث، وشيخ العربية وأديبها الكبير.

---

(١) من مقاله «الشيخ محمود شاكر كما عرفته» لعبد القدوس أبو صالح – مجلة الأدب الإسلامي العدد السادس عشر (ص٩- ١٥).

وعلى الرغم من قلة ما ترك الشيخ لأمته من المؤلفات، فإنه كان في مواقفه ومقالاته وكتبه يمثل صورة الفارس الأخير، الذي حمل راية القرآن من الرافعي، كاتب الإسلام الأكبر، واستطاع أن يقف أمام طه حسين الذي فجر تيار التغريب في هذه الأمة، حين مضى يدعو إلى انسلاخ مصر قلب العالم العربي - عن هذا العالم، بل عن الشرق كله، ويدعو في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» إلى أن يأخذ المصريون حضارة الغرب بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، وما يحب منها وما يستكره.

وكذلك استطاع أن يتصدى في «أباطيل وأسمار» إلى لويس عوض، الذي يمثل الجيل الذي خلف طه حسين، وزاد عليه في التنكر للتراث، وفي دفع الأمة إلى مهاوي العلمانية واليسار والاشتراكية.

□ وقد أنكر بعض الناس أن يتصدى الشيخ محمود شاكر، وهو العملاق الكبير، لقزم لا يطاوله، ولكني أقول: «لقد أراد الشيخ أن يجعل «لويس عوض» مثالًا لتحطيم الأصنام، التي أخذت أجيال من هذه الأمة المسكينة يعدونهم دعاة تنوير، ودعاة تقدم بعد أن تسنم الكثيرون منهم مقاليد الأمور وسيطروا على وسائل الإعلام المختلفة، وعلى دور النشر الرسمية.

وإذا كانت الأمة قد بدأت صحوتها الإسلامية لتعود إلى الإسلام من جديد، فلقد كان محمود شاكر ممن مهدوا لقيام هذه الصحوة، على أساس مكين من التمسك بالقرآن ولغته الفصحى، والاعتماد على تراث الأمة، والوقوف أمام تيار التغريب، سعيًا وراء منهج يعيد الأمة، كما أرادها الله، خير أمة أخرجت للناس.

□ يقول الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى رئيس قسم البلاغة السابق بكلية اللغة العربية جامعة القاهرة في مقاله «محمود محمد شاكر.. والفجر الصادق»[(١)] : «قليل هم في زماننا الذين عاشوا هموم الوجود العربي الإسلامي، ومن هذا القليل الأستاذ محمود محمد شاكر الذي انقطع لهموم العرب والمسلمين، وجعل هذا الهم شاغله في ليله ونهاره، وفيما يكتب، وفيما يقرأ، وفيما يحدث به مَن يرتادونه، وكأن هذه الأمّة العربية الإسلامية مع تنائي أقطارها، واتساع ديارها، واختلاف أجناسها، إنما هم أبناء أمه وأبيه، وهم أهله، وعشيرته، الذين يقوم لهم، ويقعد.

ويقول الدكتور عبد الحميد إبراهيم في مقاله «محمود شاكر – الرجل والمواقف»[(٢)] :

«ألا لا يمنعنّ رجلًا هيبة الناس، أن يقول بحق إذا علمه».

□ هذا نص حديث شريف، استفتح به الشيخ محمود شاكر كتابه «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا».

وهو حديث لا يصدق على أحد بقدر ما يصدق على الشيخ شاكر نفسه، إن مفتاح شخصيته يتلخص في قدرته على قول الحق، مهما كانت الظروف.

وقبل هذه القدرة هناك قدرة ثانية تتكامل معها: وهي قدرته على أن يتبين الحق قبل أن يتنبه له الآخرون.

---

(١) «مجلة الأدب الإسلامي»- العدد السادس عشر (ص١٦- ٢٤) ملخصًا.

(٢) المصدر السابق (ص٢٦- ٢٧).

□إن تاريخ الشيخ شاكر يتلخص في أنه يدرك الحق قبل أن يدركه غيره، هذا أولًا. وفي أنه يجاهر بهذا الحق ولو سكت غيره، وهذا ثانيًا.

هذا مفتاح شخصيته، وهو مفتاح يدل على أننا إزاء صنف من الرجال، يختلف عن غيره من بقية خلق الله.

فالرجل - أي رجل - لا يقاس بغزارة علمه، ولا بوفرة ماله، فما أكثر العلماء الذين يعرضون صفحات الكتب، ثم يتركون دنياهم، دون أن يدري بهم أحد، وما أكثر الناس الذين يحبون المال حبًّا جمًّا. ويَفنون ويبقى المال ويذهب الأثر.

لقد ذكر الرسول ﷺ أن هناك نَهِمَيْنِ لا يشبعان، طالب علم وطالب مال.

ولا غرابة في ذلك فكلاهما - طالب العلم وطالب المال - يغرقان في لذة شخصية، قد تصرفهما عن المواقف التي تتجاوز حدود الشخصية ومتطلباتها الفردية.

□الرجل إذن لا يقاس بعلمه، ولا بماله، ولكن يقاس بمواقفه.

وهذا المعيار لا يفرق بين شخص وآخر، بين شخص يعيش لنفسه ويسعى نحو لذائذه، وآخر يعيش من أجل غيره، ويرتفع بمطالبه الشخصية؛ لترتبط بهدف ورسالة.

بين شخص يعيش ليأكل، وآخر يأكل ليعيش، كما تقول الكتب المدرسية، والشيخ شاكر هو من هذا النوع الأخير.

فهو لا يقاس بعلمه ولا بماله فهناك غيره الكثيرون ممن يحفظون النظريات ويسردون عناوين الكتب، وهناك غيره أكثر مالًا وأعز نفرًا.

□ ولكن الشيخ شاكر هو رجل المواقف بالدرجة الأولى.

وهي مواقف تفصله عن غيره، وتتيح له من الخلود ما لا يتاح لغيره.

□ هو يستطيع أن يتبين الحقيقة، في وقت لا يعرفها أحد أو يخشى أن يعرفها أحد.

وهو إذا تبينها جاهر بها، لا تمنعه هيبة الناس أن يقولها، مهما كان مقدار هؤلاء الناس.

□ يقول الشيخ شاكر: «صار حقًّا عليّ واجبًا أن لا أتلجلج أو أحجم، أو أجمجم، أو أداري، ما دمت قد نصبت نفسي للدفاع عن أمتي ما استطعت إلى ذلك سبيلًا»[1].

□ رحمك الله يا شيخ العربية:

قد جئت في زمن ضاعت مكارمه ... وحرمة اللغة الغرّاء تُستَلَبُ

فكنت سدًّا منيعًا دون حوزتها ... من أن يغير عليها الخائنُ الدَّرِبُ

رُمت «الأباطيل والأسمار» تدحضُها ... فهُتِّكتْ دونها الأستارُ والحُجُبُ

□ وفي حوار معه أجراه الدكتور نجم عبد الكريم [2] قال الشيخ محمود شاكر: «إن هذا الجيل الذي نراه منزوع من أصوله نزعًا كاملًا.. الجيل الذي نشأ في السنوات الأخيرة كله منزوع من أصوله نزعًا كاملًا. وإنه لا بقاء لأمة. لا بقاء لأمة بغير حصيلتها الماضية! بغير هذا التيار المتدفق من القرون الطويلة.

---

(١) «أباطيل وأسمار» (ص١٠) للشيخ محمود شاكر – طبعة المدني.

(٢) عن صحيفة الشرق الأوسط –العدد ٥٦٦٣- الثلاثاء ٣١/٥/١٩٩٤، وجاء كاملاً بمجلة الأدب الإسلامي- العدد السادس عشر (ص٥٦- ٦١).

وأعني بالتيار المتدفق ذلك التيار الفكري واللغوي الذي يعيش به الإنسان.. الإنسان يعيش بلغته – فهذا الانفصال بين الماضي والحاضر قاطع بأن كل طريق في الحياة الأدبية سوف ينقطع أيضًا.

□ كأنك بذلك تدق ناقوس الخطر؟

نعم.. لا تستطيع أي أمة أن تعيش بغير تاريخها، والذي يريد أن يُنشئ في هذا الزمن أمة أخرى عن طريق التوهم فهو مخطئ، فتأسيس أمة جديدة عن طريق التوهم ضَرْبٌ من ضروب الخطأ، الأمم بلسانها فقط، الأمم بحركاتها الأدبية واللغوية فقط.. أما الأشياء الأخرى من الصناعة إلى كذا وكذا.. أو الآراء الاجتماعية وما شابه ذلك فهي زائلة ومتحولة، أو يمكن أن تتحول في أي وقت من الأوقات.

ولكن إذا تحوَّل التاريخ فلا يمكن أن يبقى إنسان على صورة صحيحة في هذه الحياة.

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ لمَّا سُئل عن موقفه من «لويس عوض»؟ قال: «الذي دفعني لموقفي أني وجدت شيئًا غريبًا جدًّا كنت أراه مفرقًا ثم رأيته مجتمعًا.. وقد ذكرت ذلك في مقدمتي «أباطيل وأسمار» قلت: كيف تنبهت إلى هذا فقد انفتحت عيناي على شيء مخيف، وهو أني أرى اكتساحًا كاملًا مرورًا بالزمن للعقل العربي والمصري.. وأنا أذكر مصر هذه المرة، وأقول: إن الخطر آت من مصر، وإني أرى توجيهًا شديدًا لمحق كل شيء يمكن أن يكون له صلة بالحياة الصحيحة للفكر الأدبي في المستقبل.

ومعنى هذا أن هذه المعركة ليست معركة أدبية، إنما هي معركة

سياسية بمعنى أنهم يمنعون الأمة مما يجب وينبغي أن تكون عليه وخاصة في مصر.. لأني كما قلت لك أعتقد أن تاريخ الأمم هو تاريخ النفس الإنسانية في تعبيرها عن ذاتها، فإذا مُحِق هذا التعبير الحقيقي الصحيح، فقد انتهت الأمور، فالحرب من هذه الناحية إذن هي حرب الكيان السياسي لا الكيان الأدبي. إنما أنا أعتقد أن هذا الذي ذكرت اسمه في كلامك؛ لأنه لا يساوي شيئًا في التاريخ الأدبي الصحيح ولا فهم له ولا إدراك في أي شيء.. أنا لا أريد أن أذكر هذا الاسم لأنه ثقيل عليّ، وهو ثقيل عليّ منذ زمن قديم.. وقد ذكرت هذه القصة.. فأنا أقرأه منذ كان صغيرًا، وأراه وأعرفه وأعرف كيف نشأ، وكيف نشأ أستاذه[1] أيضًا، وكيف تكوّن أستاذه، ومن يليه أعلمهم وأعرفهم جميعًا.. لو كانت لنا أمة حقيقية لفهمت هذه الأشياء؛ لأن الأمم الأخرى تفهم كيف تُحصن نفسها من سموم هذا وأشباهه.

هذا الكلام قبل على لسان من هم أكبر من هذا الذي لا أريد ذكر اسمه؛ لأنه تابع بسيط مبتذل مبهور في كتب من سبقوه من اليهود وأمثاله.

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحب أن أقول لكل امرئ: إنه مسؤول أمام هذه الأمة التاريخية العظيمة المسماة بالأمة العربية مسؤولية حقيقية.. وأن على كل امرئ أن يبصر طريقه بوضوح قبل أن يفوت الوقت.. فإن الأمم ليست بالصورة التي نتصورها.. الأمم تفنى وتزول، وأنتم ترون بأعينكم أنكم تُعاملون في العالم الآن معاملة شاذة جدًّا في تاريخ البشر، ولا يمكن أن يحدث في التاريخ القديم والمعاصر ما حدث لكم، لقد وصلت

(١) عدو الإسلام.. القزم سلامة موسى.

الأمور في بلادنا أننا طُردنا من بيوتنا وشُرِّدنا من أوطاننا وانتهكت كل الحقوق في بلادنا دون أن يتحرك في العالم ضمير إنسان، ودون أن يتحرك حتى الضمير العربي.

واللغة العربية من أشرف اللغات بين العالم، فاللسان هو حياة الأمة لا حياة لأمة بغير لسان! واللسان كالنهر الجارف يجمع كل محصول الأمة، وهو كالغيث منهمر لآلاف القرون، ليتكون منه هذا النهر العظيم.. فإذا انقطع هذا النهر فقد وقعنا في أكبر خيبة» اهـ.

□ قال الدكتور حيدر الغدير في قصيدته «الصقر»[1] : «كان محمود محمد شاكر أمة وحده.. فهو شيخ العربية، وعاشق العروبة، وحارس التراث، وفارس الأصالة، جمع إلى غَيْرَة المسلم عزة العربي.. غفر الله له ورحمه وأنزله منازل الأبرار والصالحين..

صقر على شم الرعان يُحَلِّقُ ... ومداه مغرب شمسها والمشرقُ
والنجم والأفلاك في تطوافها ... والروح في أسرارها والمطلقُ
نسجته من أرض الجزيرة ريحها ... ونخيلها وخيولها والأينق
وجبالها ورمالها وجلالها ... وبيانها العذب الشهي المونقُ
وحراء والآي الزواهر تزدهي ... فيه وتهدي العالمين وتعبقُ
فأتى أبرّ رجالها وأعزهم ... وأحبّ ما يرجو الفخار ويعشقُ

باق عطاؤك في الزمان مفاخرًا ... كالنيرات زواهرًا تتألق

(١) «مجلة الأدب الإسلامي»- العدد السادس عشر (ص٦٢- ٦٤).

ستظل للفصحى وإن كره العدا | العَلم يروي والصوارم تبرق
أما عِداك ففي غد راياتهم | تطوى كما يطوى الظلام وتمحق
فيقول راوٍ عارَهم وشنارَهم | انظر إليهم لا بقين ولا بَقُوا

❊❊❊

وهبتك آيات الفصاحة سرها | فإذا بك القلم البديع الشّيق
والضاد أنت نجيُّها ونجيبها | وعليمها وكليمها المتذوق
والحارس الشاكي يصون ذمارها | ويصول إن حمي الوطيس ويهرق
غضبًا لها وحمية مبرورة | وجذاه إعصار يطوف ويحرق
فإذا انتصفت لها رجعت مكلّلًا | بالنصر وهو مزغرد ومصفق
ورجعت بالرضوان أنك صنتها | أما الجبين فبالجلال مطوق
وعلى محياك الأبي وضاءة | تسري فيأتلق الحجا والمفرق
والضاد تهديك الثناء متوجًا | والمسك أكرم طيبه والزنبق

❊❊❊

ولقد عرفتك في فؤادك حُرْقة | نزَّت جراحاتٌ تفيضُ وتَفْهَقُ
أدمنت حزنك إذ رثيت لأمة | هي منك قلبك في الجوانح يخفق
وجعلت همك أن تكون بشيرها | ونذيرها العريان وهو المشفق
والسيفَ سُلّ فما يعود لغمده | والحادي الهادي يقول ويصدق
وجعلتها عرضًا يصان ويفتدي | بالغاليات الطيبات ويصدق
عاينتها فوجدتها مصروفة | عن رشدها والجهل شر مطبق
فهتفت من قلب يكابر لوعة | والحزن عاصفة ونار تحرق

أبنـاء إسمـاعيل أنـتم أمـة   في التيـه مرهقـة الخطـا تتمـزق
أنتم أسارى الجهل يـدعوكم لـه   لَـسِنٌ يقـول ومـدَّع يتـشدق
أو سـامريٌّ في الجهالـة خـابط   يـسعى بـه حقـد قـديم أزرق
أو مـستكين قـاده مـستغرب   أو قـاده لـضلاله مستـشرق
تتراكـضون وراءه وشـرُورُه   فيكم أشـدُّ مـن الزعـاف وأرهـق

ﭑﭒﭓﭔﭕ

ولقـد رحلـتَ وفي فـؤادك غـصة   والعين يغشاها الـذهول المرهـق
أبـصرت أمتـك الكريمـة قـصعةً   وحمًـى مباحًـا في المذلـة يغْـرق
عبثـت بهـا أدواؤهـا وبلاؤهـا   فيهـا ومنهـا غاشـيات تطـرق
والمـسلمون مـن الهـوان كـأنهم   دِمَـنٌ صـواد بـالبلى تتمـزق
«نـتن» يعيـث بهـم ويعلـم أنهـم   لن يثأروا مهمـا رغـوا وتـشدقوا
يُقْضى علـيهم غـائبين فـإن أتـوا   لم يغـضبوا أو يـأنفوا أو ينطقـوا

ﭑﭒﭓﭔﭕ

لا أبـا فهـر فأمـةُ أحمـد   ستظل كالـشمس المنيـرة تـشرق
إن الـذي حفـظ الكتـاب وصـانه   نـورًا يفـيض وجـدولًا يترقـرق
سـيظل يحفظهـا ويعلـي شـأنها   ويقيـل عثـرة أمرهـا ويُوَفِّـقُ
منهـا اللـيـاذ بـه ومنـه حفظهـا   والعهـد منه ومنـه جـلّ الموثـق
ألَّا تمـوت وإن كبـت في سـيرها   بل تـستجيش ومـن جديـد تخلـق
فتعـود بالبعـث الجديـد فتيـة   كالغاب من بعـد اليبوسـة تـورق
والله واق مـن يـؤوب لأمـره   وهـو الحفـي بمـن أتـوه الأرفـق

فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة وكتابه الفذّ «دراسات في القرآن الكريم»:

ويكفينا هنا ما قاله شيخ العربية وفارسها الشيخ محمود محمد شاكر في تقديمه لهذا الكتاب القيم.

□ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فماذا يقول القائل في عَمَلٍ قام به فَرْدٌ واحِدٌ، لو قامتْ عليه جماعةٌ لكان لها مَفْخَرةً باقيةً؟ فمن التواضُع أَنْ يُسَمَّى هذا العملُ الذي يَعْرِضُه عليك هذا الكتابُ «مُعْجَمًا نَحْوِيًّا صرْفيًّا للقرآن العظيم».

فمعلومٌ أنَّ جُلَّ اعتمَاد المعاجم قائمٌ على الْحَصْرِ والترتيب.

أمَّا هذا الكتاب، فالْحَصْر والترتيب مُجَرَّد صورةٍ مُخطَّطة يعتمِدُ عليها.

أمَّا القاعدة العُظْمى التي يقوم عليها، فهي معرفةٌ واسعةٌ مسْتوعِبةٌ تامةٌ لدقائِق عِلْم النحوِ، وعِلْم الصرفِ، وعِلْم اختلاف الأساليب.

ولولا هذه المعرفةُ لم يَتيَسَّرْ لصاحبِهِ أَنْ يوقِّع في حصْره من حروف المعاني وتصاريف اللغة على أبوابها من علم النحو، وعلم الصرف، وعلم أساليب اللغة.

وهذا العملُ الجليلُ الذي تولاه أستاذنا الشيخ محمد عبد الخالقِ عضيمة والذي أَفْنَى فيه خمسةً وعشرين عامًا طوالًا، والذي يَعْرِض عليك منه هذا القسمَ الأوَّلَ إنمَا هو جُزْءٌ مِنْ عَملٍ ضَخْمٍ لم يَسْبقْه إليه أَحدٌ، ولا أظنّ أَنَّ أحدًا من أَهْلِ زماننا كان قادرًا عليه بمفرده، فإنَّ الشيخ قد أوتى جَلَدًا، وصبْرًا ومعرفةَ، وأمانةً في الاطلاع، ودِقَّةً في التحرِّي لم أَجدها متوافرةً لكثير ممّن عرفت.

وحروف المعاني التي يتناولها هذا القسمُ الأولُ من جَمْهَرةِ علم القرآن العظيم[1]، أَصْعَبُ أبواب هذه الْجَمْهرةِ، لكثرتها وتَدَاخُلِ معانيها، فقلّ أن تخلُوَ آيةٌ من القرآن العظيم من حرْفٍ من حروفِ المعاني.

أمَا المشقَّةُ العظيمةُ، فهي في وجوهِ اختلافِ مواقِع هذه الحروفِ من الْجُمَلِ، ثمَ اختلافِ معانيها باختلافِ مواقِعها، ثمّ ملاحظةِ الفروق الدقيقةَ التي يَقْتضيها هذا الاختلافُ في دلالته المؤثرةِ في معاني الآيات، وهذا وَحْدَه أساس عِلْمٍ جليلٍ من علوم القرآن العظيم.

وسترى في هذا القسم العَمَلَ المُتْقَنَ الذي تولاه أستاذنا الجليل، مواضعَ كثيرةً من الاستدراكِ على النحاة منذ سيبويه إلى ابن هشام، ولكن ليس معْنى هذا أن نَبْخَس الشُّيُوخَ الأوائل نَصِيبهم من التفوُّق الهائل الذي يُذْهل العقول، ولكن معْناه أن الأساس الذي أَسَّسوه في أَزْمنتِهم المتطاولةِ كان ينْقُصُه هذا الْحَصْرُ الدقيق لكل ما في القرآن العظيم من حروف المعاني، وكان هذا الحَصْر خارجًا يومئذٍ عن طاقَتِهم، فإن الذي أعان عليه هو الطباعةُ التي استحدثت في زماننا، والناظر في كُتُبِ القدماءِ لا يُخطئه أن يرى أَنَّهم قاموا بِحصْرٍ غيرِ تامٍّ، بيْدَ أنَّ هذا القَدْرَ الذي قاموا به هو في ذاته عَملٌ فوق الجليلِ وفوق الطاقةِ.

ويظنّ أستاذنا الشيخ عضيمة أنّ الأوائلَ قد شغَلَهم الشِّعْرُ عن النَظر في شواهد القرآن العظيم، وأظنّ أنَّ الذي تولاه أستاذنا من حصْرِ هذه الأشياء في القرآن العظيم، وتنزيلِها في منازِلها من أبواب علْم النحو،

---

(١) «الجمهرة» هذه اللفظة وضعتها لما نسميه في هذا الزمان: «دائرة المعارف» أو الموسوعة.

وعلْم الصرف، وعلْم أساليب اللغة، مقدمةٌ فائقةُ الدلالة، لعَملٍ آخر ينبغي أن تتولاه جماعةٌ منظمة في حصْرِ ما في الشِّعْرِ الجاهلي والإسلامي من حروفِ المعاني، ومن تصاريفِ اللغة، ومن اختلافِ الأساليب ودلالتها، والذي ظنَّ الأستاذ أنّ القدماء قد فَرَّغوا هِمَمَهُمْ له، هو في الحقيقة ناقصٌ يحتاج إلى تمامٍ، وتمامه أن يُهيِّىء الله للناس منْ يقوم لهم في الشِّعْرِ بمثلِ ما قام به هو في القرآن العظيم.

وإذا تمّ هذا كما أتمّ الشيخ عَملَه في القرآن العظيم، فعسى أن يكونَ قد حان الحينُ للنظَرِ في «إعجاز القرآن» نظرًا جديدًا، لا يتيسّر للناس إلَّا بعْد أن يَتِمّ تَحليلُ اللغةِ تحليلًا دقيقًا قائمًا على حصْرِ الوجوهِ المختلفة لكل حرْفٍ من حروفِ المعاني، وتصاريف اللغة، لأنّ هذه الحروف وهذه التصاريف، تُؤثِّر في المعاني، وتُؤثِّر في الأساليب، وتُحدد الفُروق الدقيقةَ بين عبارةٍ وعبارة وأثرها في النفْس الإنسانية وأثر النفْس الإنسانية فيها وفي دلالاتِها.

وإذا كان أستاذنا الجليل قد تواضع فظنّ أنَّه قد وضع أساسًا عِلْميًّا ثابتًا للحكْم على أساليب القرآن، وموقعها من النحو والصرف، فإني أظنّ أنَّه قد فات ذلك وسبقه، فهيّأ لنا أساسًا جديدًا للنظر في «إعجاز القرآن» نظرةً جديدةً تُخْرِجه من الْحيِّزِ القديم، إلى حيِّزٍ جديد يعين على إنشاء علم بلاغة مستحدث؛ فإنه مهما اختلف المختلفون في شأن «البلاغة» فالذي لا يمكن أن يدْخلَه الاختلافُ هو أَنَّ تركيب الكلام على أُصولِ النحو والصرف، هو الذي يُحْدث في كلامٍ ما ميزةً يفوق بها كلامًا آخر، وهذا لا يتيسَّر معْرِفتُهُ إلَّا بتحليلِ اللغةِ وبتحليلِ مفرداتها وأدواتها، وروابطها، التي هي حروف المعاني، عَملٌ لا يُنْتَهى فيه إلى غاية، إلَّا بعد

الْحَصْرِ التامِّ للغة وتصاريفها، ولا سيمَا حروف المعاني، وبعد معرفة الفُروقِ الدقيقةِ التي تُحدثها هذه الحروفُ في مواقعها، وبعد معرفة أثر هذه الفروق في تفضيل كلامٍ على كلام.

والشيخ – حفظه الله- لم يترك مجالًا للاستدراك على عمله العظيم، فكلّ ما أستطيع أن أقولَه، إنمَا هو ثَناءٌ مسْتَخْرَجٌ من عَملٍ يُثْنِي على نفْسه.

ولكن بقي ما نتهاداه في هذه الحياة الدنيا، وهو أن أدعُو الله له بالتوفيق، وأن يزيدَه من فَضْله، وأن يُعينه على إتمام ما بدأ، وأن يجعل هذا العمل ذخيرة له يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون»[(١)].

▫ يرحم الله الإمام ابن حزم القائل: «وأمّا من وسم اسمه باسم العلم والفقه وهو جاهل بالنَّحو واللغة فحرام عليه أن يُفتي في الله بكلمة، وحرام على المسلمين أن يستفتوه»[(٢)].

الدكتورة نفوسة زكريا سعيد وكتابها القيم في نسف الدعوة إلى العامِيّة وهو «تاريخ الدعوة إلى العامِيَّة وآثارها في مصر»:

▫ قال الأستاذ العلامة المحقق: أبو فهر/ محمود محمد شاكر عن هذا الكتاب: «عندما شرعت أعدّ هذه الكلمة، قضيت أيَّامًا أطوف بذاكرتي فيمَا قرأتُ، وأراجع بعض ما قيَّدْتُ، فأفنيْتُ وقتًا طويلًا في حشد مادَّة الكتابة، ثم وقع إليَّ كتابٌ لم أكن سمعت به. فلمَّا بدأتُ أقرؤُه، وجدتني قد أضعت أيَّامي هباءً؛ لأنه لو كان في يدي قبل ذلك، لأغناني

(١) مقدمة الشيخ محمود محمد شاكر لكتاب «دراسات في القرآن الكريم» للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة (ص٥ - ٧) طبع دار الحديث.

(٢) «أنواع العلوم» (ص٣١).

عن بحث طويل وتنقيب مُضْنٍ، فلم أستحل لنفسي أن أعود إلى قضية الأكاذيب الملفَّقة، حتى أنصف صاحبته ما استطعت، جاء هذا الكتاب كأنه تقريعٌ لي، ولكُل من نصب نفسه لعلاج المسائل العامة في حياة الشعب العربي والإسلامي؛ لأننا عشنا دهرًا في موجٍ متلاطم، ثم لم يكن لنا من الحكمة والعقل، ما يدفعنا إلى تقييد ما يجري في زماننا على ترتيب تاريخيّ متصل، فيكون ذلك مِعْوانًا لنا على جلاء الصُّورة التي عشناها، أو التي نعيشُها في ضوءٍ مبين عن حقيقتها، وتلافيفها، وتعاريجها، وخفاياها، وهذه هي النكبة التي نكبنا بها، وأنا أشهد على نفسي - على الأقل - أني قصرت في ذلك تقصيرًا معيبًا إذ شغلتني نفسي عن تتبع كثير من الحقائق وتقييدها، فلمَّا جئت أطلبها، وقعتُ في المأزق، حتى جاء كتاب «تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها في مصر»، فأنقذني مما تورطت فيه، وهذا الكتاب النفيس، من تأليف الدكتورة/ نفوسة زكريا سعيد، المدرسة بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية. (الطبعة الأولى ١٣٨٤ هجرية/ ١٩٦٤م). والجهْد المبذول في جمع مادة هذا الكتاب، جُهْد يَدُلّ على التجرّد الصحيح السليم في طلب المعرفة، وعلى الصدق في السعي إلى الحقيقة، وعلى النفاذ في إدراك الحقائق، وعلى الصبر في معاناة التنقيب بلا كلال ولا ملل. ولا أظنني قرأتُ منذ سنوات طوال كتابًا يتناول المسائل العامة في حياتنا الحديثة، بذل فيه صاحبه من الوقت والجهد والأناة، ما بذلت الدكتورة نفوسة في كتابها هذا، ولا أظنني قرأتُ أيضًا في هذا الدَّهر كتابًا، ينبغي لكل عربي وكل مسلم أن يقرأهُ من ألفه إلى يائه، يضارع هذا الكتاب، وحسبها أنها استطاعت أن تجلو للناس صورة صحيحة صادقة مؤيدة بالأسانيد، بلا تزيّد ولا كذب ولا ادّعاء

عن أكبر معركة تدور في العالم العربي والإسلامي، وهي معركة البناء أو الهدم، معركة الحياة أو الموت، معركة الحرية أو الاستعباد، معركة وحدة العرب والمسلمين بلغة عربية هي الفصحى، أو تفرُّق العرب والمسلمين أشتاتًا بلغات متنابذة هي العامية، ولو كان لي من الأمر شيء لأمرت أن يطبع هذا الكتاب ليكون في يد كل شاب وشابة، وكل رجل وامرأة، ويكون له مختصر ميسَّر لكُلِّ من مكّنه الله من القراءة، ولست أريد الإغراق في الثناء، وإخلاء الكتاب من كل عيب، ولكني أراه كتابًا صالحًا لكل مثقّف، يجد فيه مادة صحيحة لتاريخ معركة قاسية خبيثة، إذا وقانا الله شرَّها باليقظة فقد نجوْنَا من المحنة الساحقة، وإذا أسأنا فابتلينا بتمَام الغفلة فذلك ذُلُّ الأبد، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله»[1].

وفي خاتمة هذا الكتاب القيم تخرج الدكتور نفوسة بنتائج هامة منها:

□ أن الأوربيّين هم أول من دعوا إلى العامِيّة، وأن أول مؤلف أجنبي لهم خُصِّص لدراسة العامية المصرية هو «قواعد العربيّة العامِيّة في مصر» الذي ظهر سنة ١٨٨٠ للدكتور «ولهام سبيتا»، وكان هدفهم القضاء على الوحدة العربية، عن طريق تحطيم أهم رابطة من روابطها وهي اللغة العربيّة الفصحى.

□ أن الجهود الضخمة التي بذلوها في سبيل تدعيم العَامِيّة والترويج لها لم تستطع تدعيم العاميّة، بل لقد كشفت عن كثير من نقائصها وعدم كفايتها في التعبير.

□ أن الحملة التي قاموا بها على اللغة العربية الفصحى التي هدفوا إلى

---

(١) «أباطيل وأسمار» للشيخ محمود محمد شاكر (ص١٢٥، ١٢٦).

القضاء عليها لم تستطع أن تنال منها، وإنمَا دفعت كثيرًا من أبنائها إلى القيام بأبحاث قيمة للذَّوْد عنها، وكان لها فضلٌ كبير في الكشف عن أسرار العربية الفصحى ودقائقها، وبيان عراقتها، وقدرتها على مسايرة الحضارات في مختلف العصور.

▫ أن تأفُّف بعضنا من اللغة العربية الفصحى لم يكن نتيجة للشعور بعجز الفصحى عن الوفاء بحاجاتنا العلمية والأدبية، وإنمَا كان نتيجة للشَّك الذي أثاره فينا الأوربيون نحو الفصحى في دعوتهم إلى العاميّة.

▫ إن هذه الدعوة عندما بدأت تشق طريقها إلينا وجدت استنكارًا من الرأي العام، فلم يستجب لها إلَّا قِلّة، ذهبت تناصرها بالأساليب نفسها التي استخدمها الأوربيون، سواء في حملتهم على اللغة العربية الفصحى أم في دعوتهم إلى العامية.

وتكلَّمتْ عن فكرة رفاعة الطهطاوي في ضبط العَامِّيَّة واستخدامها في الكتابة، ومن الكُتَّاب الذين كتبوا بالعامية يعقوب صنوع صاحب مجلة «أبو نظارة»، وجورجي زنانيري صاحب مجلة «الغزالة»، ومحمد النجار صاحب مجلة «الأرغول»، وأحمد لطفي السيد في اقتراحه لتمصير اللغة العربية، وعبد العزيز فهمي في اقتراحه لاستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وسلامة موسى في رأيه عن لغة الأدب الجديد.

▫ إن كل ما تركته هذه الدعوة من آثار في اللغة وفي الأدب قد رجَّح كفة الفُصحى على العامية، وأوضح نظريًّا وعمليًّا حقيقة كل منهمَا.

▫ ثم قالت الدكتورة نفوسة خاتمة لكتابها القيم الفذّ: «وعلى ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نقرِّر فشل الدعوة إلى العامِيّة، تلك الدعوة التي

أثارت كثيرًا من مشاكلنا اللغوية والأدبية طوال هذا القرن، والتي بدأت بثورة على الفُصحى وانتهت بالثورة لها»[1].

ونختم بما قاله «شاعر النيل» حافظ إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اللغة العربية تَنْعِي حظها بين أهلها

رَجَعْتُ لنَفْسِي فاتَّهَمْتُ حَصاتِي ... ونادَيْتُ قَوْمِي فاحْتَسَبْتُ حَياتي[2]

رَمَوْني بعُقْم في الشَّبابِ وليْتَنِي ... عَقِمْتُ فلَم أَجْزَعْ لقَوْلِ عِدَاتِي[3]

وَلَدْتُ ولمَّا لَم أَجِدْ لعَرائِسي ... رجالًا وأَكْفاءً وَأَدْتُ بَناتِي[4]

وسِعْتُ كتابَ الله لَفْظًا وغايةً ... وما ضقْتُ عن آيٍ به وعظاتِ[5]

فكيف أَضيقُ اليومَ عن وَصْف آلَةٍ ... وتَنْسيق أسماءٍ لمُخْتَرعاتِ؟

---

(١) «تاريخ الدعوة إلى العاميَّة وآثارها في مصر» (ص٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩) للدكتورة نفوسة زكريا سعيد- طبع دار الدعوة الإسلامية للنشر والتوزيع.

(٢) رجعت لنفسي: أي تأملت. والحصاة: الرأي والعقل. واحتسبت حياتي: عددتها عند الله فيما يدخر. يقول على لسان اللغة العربية: إنني عدت إلى نفسي وفكرت فيما آل إليه أمري، فأسأت الظن بمقدرتي، وكدت أصدّق ما رموني به من القصور، وناديت الناطقين بي أن ينصروني فلم أجد منهم سميعًا، فادخرت حياتي عند الله.

(٣) العداة: الأعداء: يقول: اتهموني بأني لا ألد على حين أني في ريعان شبابي. وليتني كنت كما قالوا فلا يحزنني قولهم. وكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها.

(٤) يريد «بالعرائس»: الألفاظ المجلوة الحسنة. ووأد البنت: دفنها حية.

(٥) الآي: جمع آية.

أنا البَحْرُ في أَحْشائِه الـدُّرُّ كـامِنٌ فهل سَأَلوا الغَوّاصَ عن صَـدَفاتِي
فيا وَيْحكُمْ أَبْلَـى وتَبْلَـى مَحاسـنِي ومنكُم وإنْ عَزَّ الـدّواءُ أُسـاتِي [1]
فـلا تَكِلُـوني للزّمـان فـإنَّني أَخافُ عليكمْ أنْ تَحِينَ وَفـاتِي [2]
أَرَى لرِجـالِ الغَـرْب عـزًّا ومَنْعَـةً وكـم عَـزَّ أَقـوامٌ بعـزِّ لُغـات [3]
أَتَـوْا أَهْلَهُـمْ بـالمُعْجزات تَفَنُّنًـا فيـا لَيْـتَكُمْ تـأتونَ بالكَلمَـات!
أَيُطْرِبُكُمْ منْ جانِبِ الغَرْب ناعبٌ يُنادِي بِوَأْدي في رَبِيع حَيـاتِي؟ [4]
سَقَى الله في بَطْن الجَزيرة أَعْظُمًـا يَعِـزُّ عليهـا أنْ تَلِـينَ قَنـاتِي! [5]
حَفظْنَ وِدادي في البِلـى وحَفظْتُـه لهـنّ بقَلْـبٍ دائـم الحَـسَراتِ
وفَاخَرْتُ أَهَلَ الغَرْب والشرقُ مُطْرِقٌ حَياءً بتلكَ الأَعْظُـم النَّخـرات [6]
أَرَى كـلَّ يـوم بالجَرائِـد مَزْلَقًـا مـنَ القَبـرْ يُـدْنِيني بغَيْـرِ أَنـاة [7]
وأَسْمَعُ للكُتّـاب في مِـصْرَ ضَـجّةً فـأَعْلَمُ أنَّ الـصائِحين نُعـاتِي [8]

---

(١) الأساة: جمع الآسي، وهو الطبيب.

(٢) تكلوني: تتركوني.و تحين: تحل.

(٣) يقال: هو في منعة، أي في قوم يمنعونه ويحمونه.

(٤) الناعب: المصوت بما هو مستكره، وربيع الحياة: أيام الشباب والقوة.

(٥) القناة: الرمح. ولينها: كناية عن الضعف. ويريد «بالأعظم»: من دفن في الجزيرة من العرب الأولَين.

(٦) النخرات: البالية المتفتتة.

(٧) المزلق: مكان الانزلاق، أي السقوط والزلل. والأناة: التأني والإبطاء. ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف.

(٨) النعاة: جمع ناع، وهو المخبر بالموت.

أَيَهْجُرُني قومِي – عفا الله عَـنْهُمُ – إلـى لُغَـةٍ لَـمْ تَتَّـصلْ بُـرواةِ؟[١]

سَرَتْ لُوثَةُ الإفْرِنْج كمـا سَـرَى لُعابُ الأَفاعِي في مَسِيلِ فُـراتِ[٢]

فجَاءتْ كثَوْبٍ ضَمَّ سَبْعِين رُقْعَـةً مُـشَكَّلَةَ الألْـوان مُخْتَلِفـاتِ

إلى مَعْشَرِ الكُتّابِ والجَمْعُ حافِلٌ بَسَطْتُ رَجائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكاتِي[٣]

فإما حَياةٌ تَبْعَثُ المَيْـتَ في البِلـى وتُنْبِتُ في تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفاتِي[٤]

وإمّـا مَمـاتٌ لا قِيامَـةَ بَعْـدَهُ مَماتٌ لعمري لَمْ يُقَسْ بمَمـاتِ[٥]

---

(١) لم تتصل برواة: أي لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التي تحفظها من التغيير كما هو الشأن في العربية، ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة.

(٢) اللوثة (بالضم): عدم الإبانة. ولعاب الأفاعي: سمها. والفرات: الماء العذب.

(٣) الشكاة: الشكوى.

(٤) تبعث الميت: تحييه. والرموس: القبور، الواحد: رمس. والرفات: كل ما تكسر وبلي؛ يريد ما بقي من الجسد بعد الموت.

(٥) «ديوان حافظ إبراهيم» (ص٢٥٤ - ٢٥٥).